Arab Scientific Publishers, Inc.

يوم طارت الأسماك

فؤاد ميرزا

يوم
طارت الأسماك

يوم طارت الأسماك

فؤاد ميرزا

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-614-01-0490-7

توزيـــع

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

لوحة الغلاف للفنان العراقي محمد فرادي

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

المحتويات

القسم الثاني

إهداء ..

إلى إبني.

القِسْمُ الأوّل

النهر

إبتسم الشاب، ثم رفع حفنةَ ماء إلى فمه فابتسم النهر له بدوره. ارتوى هذه المرة إلى حد الامتلاء (يا له من ماء نظيف ومدهش) لقد كان فرحاً غامراً ذلك الذي يلم به وهو يتأمل الماء المنحسر دائماً..

(الماء ليس هو ذاته ومع ذلك فالنهر باقٍ خالد!)

استدار حوله، الهدوء شامل، وكان هو مع النهر. أحس بأن هذا العمق يخطفه إلى أعمق.. حيث الصمت رهيب والوحشة مفزعة..

من أنت؟

أنا ما ترى.. ماذا يدور بخلدك؟

ليس هناك شيء البتة.. لكنني أخاف النمل.

أيّ نمل؟

أسراب كثيرة ستزحف نحوي لتنهشني بعد قليل.

تعال عندي.

هل ستضيفني؟

ـ إنك ستصبح مني.

إنني أحببتك منذ زمن.

الخلود أم أنا؟

بل أنت.

على حين غرة جاءت شجيرة مقطعة الأغصان الجذور بشكل يبعث على الحزن والشفقة، وعلقت بحجر

ـ من هي؟ سأل الشاب.

ضيف مثلك.

وهل تستضيف أشياء غير إنسانية أيضاً؟

كركر النهر هذه المرة مرحاً، ثم قال:

عجيب.. الإنسان هو هو.. حتى في معرفتي!

الخلود!.. لم أفهم شيئاً!

لم يجب النهر وغرق ضاحكاً بين موجاته الهادئة. سمع الشاب صوت قاطرة من بعيد أفزعه وأعاده إلى حواسه.. كان هو والنهر وحيدين في تلك الليلة الداكنة، لكنه امتلأ بشعور غريب أيضاً.. لقد أصبح صديقاً للنهر.. الأمر الذي ملأه بالقوة إلى حد كبير. ضحك بنشوة.. ثم قفز إلى الماء، وأحس بأنه قد ارتوى ولن يعطش إلى الأبد.

بغداد 1975

مرجان

في الغرفة المجاورة. رجل عجوز أسود، صديق لأبي. زارنا قبل يومين.. دخل الغرفة وأغلق خلفه الباب. تعهدت أنا بأطعامه.. رجل أسود غير بشوش. يتناول (الصينية) مني ويضعها على الأرض. لا يتكلم أبداً. بل يدخن غليوناً طويلاً من خشب التوت. ينظر إلى صينية الطعام، ولا يكف عن التدخين. دخان أسود له رائحة نفاذة قوية كرائحة الشياط.

سألت أبي عنه.. قال: هذا صياد لؤلؤ.. تعرفت إليه في البصرة. قال أبي: الأسود قتل واحداً منهم. أمي لا تقترب من تلك الغرفة.. وفي السرير ليلاً.. تتخامش مع أبي.. وتتحدث عن الرجل الأسود.. قال أبي: لقد قتلوا امرأته.. ولقد قتل القاتل.

أبي كان (فيلياً) ويعرف سبع لغات.. وله أصدقاء أجانب من مختلف الأجناس، يستوقفونه في كل مكان. أبي كان طيباً ومخلصاً لأصدقائه القدامى.

كانت النوافذ مسدلة.. والغرفة التي يجلس فيها الرجل الأسود هي غرفة الضيوف. وكان الأسود قد جلس على البساط متكئاً بظهره على الأريكة الخشبية. كان يمد رجليه، فأرى بياض باطن قدميه وباطن كفيه.. كانت له أسنان كالعاج.. لكنه لم يكن يبتسم مطلقاً. رأيت أسنانه ومقلته البيضاء مكبرة في قدح الماء وهو يشرب. كان ينام في نفس المكان الذي يجلس فيه واضعاً يديه تحت رأسه، فوق الكوفية الحمراء والعقال.

لم تكن أمي تحب الرجل الأسود، أما أنا فأحب الدخان الذي يجعلني أعطس.

الرجل الأسود.. صياد لؤلؤ، لكنه لم يمنحني شيئآ طيلة مدة بقائه في البيت. أمضى الرجل الأسود تسعة أيام في الغرفة دون أن يخرج أو يحدّث أحداً.. ثم أنصرف.. ومضى في الأزقة وتاه في بغداد.

في الشورجة قبل يومين رأيت عجوزاً أسودَ تفوح منه رائحة بن مُحمصّ وتبغ أسود شائط. راقبت غليونه وكوفيته الحمراء، تجاعيد الظلام تحت عينيه وشقوق جبهته وخديه. كانت بيده دلّة وفناجين صغيرة يطقطق بها ويبتسم للجميع. أسنانه بيض عاجية ويبتسم حتى للمارة الذين لا يرغبون بقهوته.

قلت: - ألست مرجان؟

حدق فيّ ملياً.. وذابت ابتسامته رويداً رويداً، في غليونه الطويل. احترقت وتصاعدت على شكل دوائر سوداء.. ثم رأيت أسنانه من جديد.. ابتسامة عذبة حائرة..

وطقطق فناجينه أمام عينيّ قائلاً:

- أترغب بفنجان قهوة؟

قلت: - لا.

كان دخان الغليون قد جعلني أعطس.. رفعت عينيّ الممتلئتين بالدموع.. كان العجوز الأسود قد اختفى.. خلفني وضاع بين الجموع من جديد!

بغداد 1975

شامة خديجة

البنـات يأخذنهـا إلـى الغرفـة ويغلقن خلفهن البـاب؛ كل ذلك من أجل أن يرين شـامة خديجة. وخديجة معروفة بشـامتها. الصغار والكبار ينادونها بخديجة أم الشامة. وهي بجديلتيها غير المضفورتين وشعرها الأشعث تبدو كإحدى صبيات الغجر. وهي لم تكن تمانع، بل تفرح حينما كانوا يسألونها عن شامتها. قالت لي أختي: إنها شامة بحجـم حبـة الحمـص فوق عانتها مباشـرة. غيـر أن الذي أعرفه أنها لـم تكـن ترتدي لباسـاً داخلياً من أيّ نـوع! بعبارة أخرى أنها تملك شـامة بحجـم حبـة الحمـص فوق عانتها مباشـرة. ثم مـاذا! وما كل هذه الأهمية لشامة خديجة؟ ولماذا تفرح خديجة لأنها تملك شامة بحجم حبة الحمص؟ والكل يتشوقون لرؤيتها! لم أكن أطيق خديجة هذه. كنت أكرهها وأكره شـامتها حبّة الحمص تلك. أكره ابتسـامتها حينما يقدنها إلى الغرفة ويغلقن خلفها الباب، يرفعن ثوبها ويشـرن بأصابعهـن ويكركـرن.. إنها بحجـم حبة الحمص حقاً.. وهي هناك، فوق عانة خديجة.

كنت أدعوها بخديجة (أم الشـامة) احتقاراً. لكن الناس جميعاً كانوا يدعونها كذلك.. لذا فهي لم تر في نعتي الذميم ذاك أي احتقار. كنت أسـررت للأولاد بأمرها وأفشـيت لهم سرها، فشاركني الجميع الضحك ومشاعر المقت والاستهجان، لكنهم حينما كانوا يلمحونها تقتـرب منهـم أو تتحـدث إليهـم. كانوا يظهرون احترامـاً غريباً، كما لو كانوا يخشـونها أو يدخرونها لأمر ما في نفوسـهم! ولقد صرحوا

لـي جميعـاً، واحـداً بعـد الآخر.. الخونـة.. إنهم يـودون أيضاً رؤية شـامة خديجة والتي هي بحجم حبة الحمص!. لـم اعد أطيق ذلك؛ فهجرتهـم واحـداً واحـداً ماذا حل برؤوس كل أولئك الناس؟ فحتى الكبار أخذوا ينادونها الآن ويلامسـون رأسـها. يمسـحون شـعرها، يعدلـون ياقتهـا، وينفضون عن طرف ثوبهـا التراب، وكأنهم يتقربون شيئاً فشيئاً من رفع ثوبها والنظر إلى شامتها! لم أكن أفهم ما أهمية أن يمتلك الإنسـان شـامة بحجم حبة الحمص فوق عانته!.. أقسـم أن الجميع قد رأوا شامة خديجة، الصغار والكبار، البنات والأولاد ماعـداي. أمـا هـي فقـد تعودت بعد حين على رفـع ثوبها، ولم تعد تأبه كثيراً بهوية المتفرج. أهو صبي أم فتاة. حتى لأظنها تبدو تعيسة إذا انشـغل النـاس عنهـا وعن شـامتها. فأتخيلها واقفـة أمامهم ناظرة فـي عيونهـم باسـتعطاف: أما يكفي الآن؟.. ألـم يحن الوقت؟.. ألا تريـدون رؤيـة شـامتي؟!.. أنـا وحدي لـم أكن أفهـم ما الأهمية التي يعلقها العالم على شامة خديجة وكنت أحتقر ذلك وأشمئز منه.

تزوجـت خديجـة، كمـا أني (بلغت) وأمسـيت جـاداً إلى أبعد الحدود، مفكراً طيلة الوقت في الثورة وتغيير العالـم.. لكن خديجة كانـت هنـاك، وكنـت معها في خلوة!.. لقـد هجرت زوجها وعادت إلى بيت أمها تجرجر خلفها طفلتين. ولقد جلست تقص على أمي التي كانت تخيط لها ثوباً جديداً حكاية عذابها في عشـها الزوجي. ولا أعـرف كيـف اختفـت أمـي بعـد ذلـك.. كنـت أفكر بهـا: يا لها مـن امـرأة في محنة ومسـكينة! كانت حزينة بـلا فرح في عينيها ولا ابتسـامة. ومـن علـى الأريكـة كنت ألمح دموعهـا. وهنا خطرت لي ذكرى شـامتها المشـهورة. وبنزق صبوي اقتربت منها لأذكرها بشيء

بهيج مفرح،. فسألتها عن شامتها. لكنها بدل أن تأخذ ملاحظتي هزلاً سألتني إذا كان بودي حقاً أن أرى شامتها! بعد ذلك اليوم.. عرفت لماذا كانت شامة خديجة والتي هي بحجم حبة الحمص على عانتها تماماً بكل تلك الأهمية.

1990امريكا

الغيمة

ضحكت الغيمة الصغيرة وقفزت بسيقانها الدخانية فوق اجسام غيمات اصغر منها فبعثرتها الى نتف تشبه نتف الثلج والقطن. ضحكت الغيمة بكل ما في قلبها الصبوي من فرح وقالت: سأتحول الآن الى راع بمزمار وسأسحرك فتتحولين الى شاة ثم معزى بريّة.

وفعلاَ تحولت الغيمة الى راع بمزمار يشدو لحناً شجياً، وحولت الغيمة التي تتبعها الى شاة ثم أيّل ثم طير. وبنزق طفولي لا يحركه إلا الملل تحولت الغيمة الصغيرة وبلحظة واحدة الى عشرات الأشكال والأشياء: فمن شجيرة الى رأس شيخ جليل الى جمل بسنامين الى فيل بخرطوم الى بوق الى صبية فيلبية اسمها نسرين.

يحدث كل هذا على صفحة السماء، التي كانت ساطعة الزرقة مشرقة فوق نسرين التي تعدو تلك اللحظة عابرة الزقاق وهي تكركر هاربة من علاوي الذي كان يصغرها بعام واحد ولم يكن يجاريها الفرح أو العدو.

بغداد 1974

أزقة الدهشة

تفحـص وجهـه في المرآة: نفس الوجه الصغير الطافح بالبهجة يلوح أمامه، وشعره المهمل منذ البارحة، وتلك البقع القاتمة السمرة لا ينفـع معهـا المـاء، وكـم مـن مرة أقسـم لأمه بذلك. قبـل أن تراه أمه غذ السـير شـاعراً بالسـعادة. تمنى أن يوقف المارة ليثرثر معهم، يخبرهـم عن سـبب سـعادته. جـاءت البارحة جارتهـم وأهدته دمية. تمتمت:

كم أنت فقير ايها الولد الصغير

خلـل ظـلام الليل سـمع صوت أمه وهي تغنـي بحزن وعذوبة والنجوم تنخرط من اماكنها وتسقط خلف حجاب خفي. لم يغمض عينيه وبقى يفكر بكلمات المرأة.

وفي الصباح سأل أمه حائراً: هل نحن فقراء؟ قالت: نعم. قال: من هم الفقراء؟ قالت: كل الناس. لم يفهم ذلك تماما ولكنه شـعر بفرح غامر لإمتلاكه دمية جديدة.

بين الحلم اليقظة مرت سـيارة مسـرعة واختفت في المنعطف. نظر الى دميته: هذه الدمى الصغيرة التي تعيش وتقضي نحبها، تتهشم عظامها الصغيرة من دون أن تتأوه.

لم يعد سعيداً ولا حزيناً على الأرض.. ونشج بلا دموع.

بغداد 1974

يوم طارت الأسماك

لـم يـرَ أحـد من قبل صبياً بهذا الطول. نحيل دقيق مثل خيط.. وحينما يصعد إلى سطح الدار، حيث يتجمع الأطفال لصيد السمك المسـحور الطائـر. كان هـو أطول منا جميعا، ولذلك السـبب يكون أحسـننا حظـاً وأكثرنـا قدرة على الإمسـاك بالأسـماك الطائرة.. كان يجلـب معـه شـبكة مخروطية مثبتة على طـرف قصبة بردي طويلة.. يـدور ويلـف حـول نفسـه عـدة دورات رافعـا الشـبكة عاليـاً فنـرى الأسماك تسقط في الشبكة: الأسماك الذهبية والفضية، الطويلة ذات المناقيـر، والعريضـة المفلطحة ذات الأسـنان الحـادة وتلك التي لها عيون غاضبة. البنّي والشبوط والزوري، كلها تسقط أسيرة في شبكته الطائرة. يتوقف لبرهة ينفض الشبكة بحركة متغطرسة متعالية فتمتلئ سلالنا الفارغة بالسمك الحي الذي يبقى يلبط لساعات. يضع كفيه علـى خاصرتيـه مقهقهاً بصوت جهـوري. يحكى بأن الصبي الطويل كان مسـحوراً، تمتم ذات يوم في نهر دجلة فجعل الأسـماك تغادر الماء محلقة في سماء بغداد فوق سطوح البيوت.. نتذكر بأن الصبي الطويـل تحـول ذات يـوم هو نفسـه الى شـيء كالدخان وصار غيمة على شكل سمكة.

بغداد 1974

تمرٌ في السماء

استيقظ على لسعة شمس وجلبة في الشارع وصهيل حصان. رفع رأسه عن الوسادة فرأى ثلاثة غربان عند سور السطح قرب تمر نخلة البربن، تنفش ريشها وتنظف جلدها بمناقيرها، تُدخل رؤوسها تحت أجنحتها ثم تتطلع الى أسفل حيث يقف، تنظر له ولا تطير. كانت الغربان تعرف على ما يبدو عدم مقدرته على إيذائها بسبب صغر سنه وعلو سور السطح. لوحّ بيده وأخرج كل الأصوات التي تخيف الطيور لكن الغربان بقيت مشغولة بنفسها ترمقه بين حين وآخر دون كثير اكتراث. أمسك بحجر وقذف به عبر السماء. ومن موضع الحجر بزغ شكل طائرة حربية مربعة الذنب شقت السماء مثل مقص يعمل في نول ازرق فشطرتها الى شطرين. ومن حافة السياج انطلق خرطوش المصفحات العسكرية التي طوقت الحي. الخرطوش له شكل التمر ملأ بعذوقه صفحة السماء. طارت الغربان الثلاثة فحلق خلفها وتوقف ليجمع الخرطوش الجميل الذي له شكل التمر.

عثر عليه أخوته صباح فجر 8 شباط 1963 وفي فراشه رسمت خريطتان واحدة من دم حول عنقه والاخرى من البول حول ساقيه.

بغداد 1975

زيدان

اعتاد زيدان ان يبكي ثلاث مرات في اليوم؛ مما دعا الجيران الى طرق السقف والجدران احتجاجاً على الصوت النشاز.

قرر زيدان والذي خلقه الله بست اصابع في كل يد، وبقلبين.. (في كل جهة من الصدر قلب) ان يبكي يومياً مرتين بصوت خفيض محاباة للجيران ومرة واحدة لنفسه بصوت مروع.

بغداد 1974

سعدية

تقيأت دما وقالوا لا مفر من الموت وأن المصاب هو السل.. زارتهـا حكيمـات مدينـة الحلة وسـاحراتها ونصحنها بمعانقة شـاب فيلـي أمـام المـارة بـلا خجل. حينمـا دخلت بغداد وقصدت سـوق الصدريـة، احتـارت سـعدية المحمولـة على الأيدي مـن تقبل، فكل من يمر بها له وجه حسـن.. تقدمت من فتى وسـيم يدعى اسـكندر وقبلته من فمه قبلة طويلة. يحكى أن سـعدية عاشـت مائة عام، أما الفتى اسكندر فلم يذكر له التاريخ خبر.

بغداد 1974

اسطة بدري

وقفت بدرية أمام المرآة وبمقص بارد كبير أخذت تقص شعرها الأسود الطويل خصلة إثر خصلة حتى أخذ وجهها الفتي يشبه وجه غلام صغير. انتزعت عقدها الذهبي من عنقها كما انتزعت قرطيها وخاتماً له فص من العقيق كان يزين إصبع أمها المرحومة، وارتدت فوق كُلّ ذلك ملابس الذكور. برعت الشابة اليتيمة التي أخذت تلبس الآن دشداشة والدها المرحوم وتطوق رأسها بكوفية بتسلق النخيل السامق الصعب، وشوهدت تعمل فأسها في الخشب، تجمع حطب الوقود، وتقف في طابور عمال البناء الصباحي الذي نقلها من مدينة الى مدينة حتى استقرت في بغداد.

أصبح لبدرية التي تحّول إسمها الى أسطة بدري، شهرة وباع في بناء البيوت الحديثة المبنية من الطابوق المفخور كما ذاع صيتها/ صيته بالنكتة اللاذعة وفاحش الكلام حتى بوجود ابنته الشابة بدرية، التي كانت ترافقه كظله الى مقهى بوابة الكيلاني حيث اعتاد الجلوس كل مساء. وحينما يُسأل اسطة بدري عن سبب عزوفه عن الزواج وخاصة أن كثيراً من عانسات الحي يتمنين الاقتران به. يشير الى ابنته الجالسة قبالته على تخت المقهى: (بدرية هي من ثالث وآخر زوجاتي.. زوجتي العاهرة كانت تستدرج وتغوي كل عمالي الفتيان الذين اخترتهم لقوتهم وإخلاصهم.... ولذلك طلقتها وأقسمت أن لا اتزوج مرة رابعة !).. يقهقه بخشونة وتقهقه ابنته معه بنفس طريقته وهي تطلق سحابات من دخان النركيلة في وجوه المتعجبين.

بغداد 1975

القلب المسحور

كانت في السابعة عشرة. تواعدت معه قرب شاطئ دجلة، وضمته اليها بقوة. قبلته من شفتيه ثم غرست سكينا حادة في صدره وانتزعت قلبه ورمته الى السمك، فنهشته عشرات السمكات النهمات. ثم غرست السكين في صدرها وانتزعت قلبها ورمته الى الماء فأكلته زورية صغيرة عابرة.

***

تعشي عينيَّ الصبي شمسٌ قوية، ويتطاير على وجهه رذاذ بارد من دجلة. وقف ملتصقاً بالسور الحجري المثلم مباشرة فوق مجموعة من الفتية الفيلية(*) يصيدون السمك بخيوط مربوطة مباشرة الى اصابعهم. كان يبدو أنهم تسابقوا على عبور النهر سباحة غير انهم تعبوا وعزموا على صيد الشبوط(**) وشيه وأكله كعادتهم دون مغادرة الشاطئ... وعن الصيد وعن قدراتهم في السباحة كانوا يثرثرون ويتشاكسون ويخوضون في الماء حتى سراويلهم مخلصّين الصنانير حينما تعلق بالطين. وعلى طول الشاطئ من جهة الرصافة كانت ترى تجمعات صغيرة مشابهة تفعل نفس الشيء. أشخاص يصيدون أو يسبحون أو يجمعون اخشاباً واوراقاً لغرض ايقاد نار..

(*) الفيلية: أحد أقدم مكونات الأمة الكردية، ولهجتهم الحاوية للمفردات السومرية هي الأقرب إلى اللغة البهلوية ولغة آفيستا زردشت. وقد أسسوا دولاً ودويلات وإمارات عديدة منذ غابر الأزمنة حتى الربع الأول من القرن العشرين، من أقدمها كاردونياش التي حكمت مملكة بابل أكثر من ستة قرون.

(**) شبوط: نوع من السمك العراقي

وفجأة علقت سمكة بخيط صياد شاب غاية في الوسامة. فسحبها ليكتشف انها كانت مجرد (زورية)(*) صغيرة فقطب وجهه باستياء. خلص خيشومها من السنّارة وأمسكها من ذيلها مزمعاً اعادتها إلى النهر. نظر الصياد الى أعلى فلمح الصبي الصغير الملتصق بالسور يتطلع اليه بإنبهار. هتف بحنجرة قوية: تريدها... فأومأ الصغير بالإيجاب. رماها الشاب له بقوة من خلف كتفه. سقطت السمكة قربه وأخذت تتقلب على التراب. انحنى الصغير فوقها وأمسكها من ذيلها بحذر. رفع السمكة محدقا عبر حدقتي عينيها كمن ينظر عبر فتحة صندوق مظلم. من داخل السمكة سمع صوت فتاة تهتف: أحبك. كم أحبك.

غسلتها أمه تحت الحنفية، فترطب جسم السمكة الذي كان متصلباً، قالت: انها صغيرة جداً ولا تنفع لشيء. خذها الى أم كوثر فأنهم يقلون السمك اليوم للغداء؛ لعلها تقليها لك.

هرول خارجا من الباب ممسكاً بالسمكة من ذيلها بين سبابته وابهامه مبعداً إياها عن وجهه كما لو كانت على قيد الحياة. وبين فترة وأخرى يسمع صوت فتاة تقول: كم أحبك..كم أحبك.

دفع الباب المردود دون أن يطرقه.

ثلاث سمكات تفوح منها رائحة الشياط تتقلب في مقلاة مليئة بالدهن. عند الزاوية كانت هناك فتاة حمراء الوجه تجلس على مندر(**)، تحوك ليفة من نسيج خشن ذهبي امامها، وفتاة ثانية

(*) زورية جمعها زوري: كلمة عامية عراقية تطلق على صنف من السمك صغير الحجم يكثر في مياه الرافدين.

(**) مندر: وسادة مربعة مسطحة تستخدم للجلوس بدل الاتكاء.

تشبه الأولى تقلي السمكات الثلاث في مقلاة مسودة القاع، تتهدل فوق جبهتها خصلة شقراء. قالت الفتاة الحمراء المنمشة التي تقلي السمكات: امّنا خرجت في طلب ملح من الجيران.. تعال هنا اجلس قربي وارني ما معك.

رفع الصبي الزورية عاليا ليقربها من عيني الفتاة المشغولة بالقلي. ضحكت الفتاة التي تحوك الليفة في الزاوية وانتبه الطفل الى ربلتي قدميها البيضاوين وساقيها المكشوفتين حتى الركبة:

إنها صغيرة جدا ولا تصلح لشيء. هل صدتها بنفسك؟

حرك الصغير رأسه علامة النفي ثم جلس على المندر قرب صينية فيها خبز ساخن وبصل أحمر مقشر وملح ناعم، فاحس بحرارة النار الحمراء اللاهبة تحت المقلاة كما احس برطوبة طابوق الحوش الذي كان قد غسل أو رش ومازال رطباً وبارداً.. نزلت الفتاة الثالثة وكانت أصغرهن وأجملهن من مسوّر شناشيل الطابق العلوي وأخذت تضحك بدورها على صغر حجم السمكة.. أذهل جمال الفتاة الصغيرة الصبي. قال: سمعت السمكة تبكي وتقول: أحبك.. أحبك.

ضحكت الفتيات الثلاث دفعة واحدة.

قالت الفتاة التي تحوك الليفة: - لابد انها سمكة مسحورة. والفتاة التي تقلي السمك: أو انها جنيّة، وأصغر الفتيات: بل انها عاشقة أو أكلت قلب عاشقة. لماذا لا تتركها لي وسأعطيك سمكتي بدلها؟

وافق الصبي على المقايضة. وضعت له الفتاة الصغيرة سمكتها وسط رغيف الخبز ثم قالت:

أنت لا زلت صغيراً على الحب.

ضحكت الفتيات الثلاث مرة ثانية،، وكانت رائحة شياط السمك تعبق قوية في الهواء.

***

من رأى الفتاة الصغيرة تلقي بنفسها من شرفة الشناشيل، شبهها بطائر السنونو المهاجر. فردت عباءتها السوداء وطارت فوق البيوت دائرة عدة دورات قبل أن تسقط أمامه وتتحطم كقطعة من الخزف.. أنحنى فوقها وأخذ يتأمل وجهها الجميل الفتي بينما كانت أصابعها تلامس كفه: قلت لصديقاتي لو أعرف بأني سأسقط بين ذراعيه لألقيت بنفسي من النافذة. سخرن مني. ولكني كنت جادة. اليوم تحققت أمنيتي. ضمني الى صدرك.

ضمها الى صدره وسمعها تلفظ انفاسها الساخنة قرب أذنه: آه من حبك..آه من حبك.

1974

المراهقة والساحر

أخذتها أختها الكبيرة الى مدينة الألعاب بعد أن بدت متوعكة ومتألمـة علـى غير عادتهـا مما أقلق أمها وأختها عليها كثيراً. مضت سـاعتان دون أن تثيـر فيهـا العـروض والألعـاب وبهجـة النـاس أي حماسـة. وأخيـراً تعبتـا وجلسـتا أمـام عرض سـحري لممثل شـاب نحيف القامة له خصر كخصر الدبور. وكان يحرك عصاه السـحرية وأصابعـه الطويلـة بحـركات رشـيقة جـداً ويرمي بعباءتـه المفضضة خلف ظهره ويخرج من قبعته حمام ومناديل ملونة وأرانب.

بدل متابعة العرض شغلت الفتاة الصغيرة نفسها بتأمل لوحات الإعلانات الكبيرة على الأسيجة الجانبية: (تحفزت الرؤوس العديدة حول حلقة السيرك وكأنها على وشك الافلات من أماكنها والطيران مـع حبـال الأرجوحـة المتدلية من سـقف الخيمـة. وكانت الفتاة في الصورة قد ألقت بجسمها خارج الارجوحة بحركة رشيقة طائرة في الفضاء، وقد وقف رجل نافر العضلات في الأرجوحة المقابلة متأهباً لتلقف الفتاة) نظرت الفتاة الى صورة أخرى: (سـقطت امرأة بيضاء شبه عارية من مكان عال، وكانت بسقوطها الشديد البطء وسكونها المستسـلم فـي عتمـة الفـراغ، تبـدو وكأنها تحلم بأكـف قوية غزيرة الشعر ستمتد وتنتشلها من أسفل).هتف الساحر بصوت شبه ممغنط وهو يهبط من خشـبة المسـرح ويسـير بين المتفرجين مقلداً حركات نمر متأهب للقفز على فريسة (أقرأ الأفكار.. وأعرف الأسرار) رددها

عدة مرات ثم أشار بعصاه الى رجل أصلع قاتم السمرة يجلس بين طفلين (جاسم.. في جيبك عشرة دنانير وعشرون فلساً، ورسالة مطوية من صديق اسمه عماد، وتفكر برحلة صباح الغد الى البصرة). تلعثم الرجل بذهول (صحيح..صحيح كيف عرفت ذلك).. تعالى التصفيق وهتاف الجميع محيين الساحر. خطا الساحر خطوتين متربصتين بنفس الطريقة النمرية وقبل أن يختار بنفسه، تبرعت امرأة عجوز موشومة الوجه فمها خال من الأسنان تقريباً رافعة إصبعها. فالتف الساحر بعباءته بحركة سريعة ووجه عصاه ناحيتها: (غزالة أم سعدون.. أنت تفكرين بابنك الجندي سعدون. في جيبك خمسة وعشرون فلساً ثمن بطاقة العودة بالباص وخزامة[*] ذهبية مكسورة في ورقة مطوية).. ابتسمت المرأة وأغلقت عينيها الصغيرتين هازّة رأسها بالإيجاب فقهقه الناس واختلطت كلمات استحسانهم بالتصفيق والصياح.

الآن.. أحست الفتاة الصغيرة انها أمست في منطقة الخطر؛ فلقد اقترب الساحر كثيراً وأصبح على مبعدة خطوتين من مقعدها فضغطت على ذراع أختها طالبة منها مغادرة المكان على عجل. طاوعتها أختها الكبيرة وسارتا صامتتين مخلفتين الساحر والضوضاء وراءهما متجهتين نحو البوابة الخارجية.

دار قطار صغير حول الزاوية وفاجأهما بصيحة قصيرة عالية اختلطت بصرخات الصغار الذين أخرجوا رؤوسهم من النوافذ. كان القطار يشبه أحد الزواحف الطويلة ومن وجهه أطلت ابتسامة بهيجة

(*) الخزامة: حلية للأنف.

وراحت كرات بطنه المكشوفة ترتفع وتنخفض بحركة متموجة.. في البـدء لـم تكـن الفتاة الصغيـرة قد تنبهت لوجود سـكة القطار حول الحديقـة، فأخـذت ترقـب عجلاتـه التـي تظهـر بين فتـرة أخرى بين الحاجزيـن المقابليـن لهـا. إلتـوت مؤخـرة الحيوان نصـف التواءة.. رفعت الفتاة رأسها لتودعه، فلمحت أحد الأطفال في العربة الأخيرة لوى عنقه الى الوراء في محاولة لتثبيت بصره عليها وقبل أن تختفي مؤخرة القطار وهو ينحرف الى جهة محجوبة، كان الصغير قد قذف لها بقبلة في الهواء ولم يسعها الا أن تبتسم له.. لكنها أحست فجأة بالـدم يصعـد الـى رأسـها مـن الخجل فتمتمت بصوت خافت دون أن تسـمعها أختها: (للسـاحر بالتأكيد.. أقصد ذلك الشاب..وسـامة شيطانية).

***

صعـدت الفتـاة الصغيرة درجات السـلم حتى توسـطت عتمته، اتـكأت بكتفيهـا علـى الجـدار. فكـرت بكذبتهـا تلك:(انـي متعبة.. أشـعر بحاجة للنوم).. إن هذه السـاعات التي سـتقضيها في غرفتها دون أن تنـام، جعلتهـا تحـس بمـاء بـارد يتجمع فـي مفاصل قدميها وكتفيها وفقرات ظهرها. فتحت باب غرفتها وامتدت يدها ببطء الى مفتاح الضوء، بينما راحت عيناها الخائفتان تتسـللان داخل أحشـاء الظلام وكأنها سـتفاجأ بمسـخ بشـع يقفز عليها لحظة إنارتها الغرفة. اندفع الضوء من المصباح بسـرعة هائلة لينسـكب فوق أثاث الغرفة وحاجياتها وتساءلت بخوف، إنْ كانت هذه الغرفة هي غرفتها حقاً: هذه الألوان السحرية المتوثبة والتي تشبه ألوان الجلود البشرية. إن

غرفتها مملوءة بمئات الناس يختبئون تحت السرير وخلف الدولاب والستائر وداخل الجدران، يتحدثون ويضحكون بأصوات خافتة، وان أثاث الغرفة قد صنع من لحوم أكفهم الحساسة المتهيجة. ستلامسها لمسات شبقة وهي تمر، أو تستلقي فوق السرير وستمسح لها جسدها البارد..

تقدمت نحو الدولاب، فالتهبت صورتها في المرآة. خلعت ثيابها. كانت نظراتها تتسلل الى تفاحتيها المثمرتين بزهرتي (الجهنمي)(*) خاضت في دقائق ضوء الغرفة التي تطايرت من مكان تحرك قدميها على شكل فقاعات ونجوم ماسية كثيرة.. استلقت فوق فراشها، سحبت الشرشف على جسدها، وواجهت الحائط.. بين الحلم واليقظة.. هؤلاء الناس الذين يتحدثون في غرفتها يمدون أيديهم بشوق ويغرزون في جسدها من خلف الغطاء آلاف الإبر الدقيقة الباردة: نساء عاريات يشبهن نساء لوحات الإعلانات في مدينة الألعاب يسقطن على الأرض الخالية من الأرض المنقذة.. يسقطن على الأرض ويمتن.. رجال بأذرع قوية مفتولة العضلات، كثيفو الشعر تجمعوا داخل حلقة السيرك دون حراك.. حبال.. شبكات قفز.. كرات.. خيول.. فيلة.. أكشاك مرطبات.. مهرجون.. حركات..مئات الحركات السخيفة المنفرة.

هتفت: (لا لا أريد الذهاب الى الساحـ.... !).

عبر ثقوب الحائط الصغيرة وفتحاته الخفية، كان ساحر السيرك يتسرب كالدخان، ينتصب واقفاً وسط غرفتها المغلقة.. شاب رشيق

(*) الجهنمي: أزهار حمراء

تقدم منها وبصوت شيق معبّر خيل إليها أنها تعرفه، ناداها: (سميرة.. سأقرأ أفكارك، لكنني لن أفشي سرك أبدا)..

لم تعد تحس بجسدها، هبّت نسمة باردة من النافذة؛ فطارت الستائر الحمراء في أرجاء الغرفة.. كان أهلها جميعا يقفون خلف النوافذ ويحدجونها بعيون جاحظة. تقدم منها الساحر وجلس قربها على السرير.. اقتربت منه، مسّت أصابعه جسدها. رددت:(لا أرجوك لا تفعل ذلك).

سقط رأسها إلى الخلف وامتلأت عيناها بالدموع.

بغداد 1975

أهل الكهف

الخيمة في مصباح والمصباح في زجاجة والزجاجة هي رأسي. هكـذا يبتـدئ الحلـم. هكـذا أراهم الآن كما أراهـم حينما أنام. بدو يثرثرون في رأسـي. ثلاثة بدو حول نار. وهم يتكلمون أو يناقشـون أمـراً مـا. والأمر الذي يشـغل رؤوسـهم خطير، لكنـي لا أعرف عنه شيئآ. وهم يتكلمون بأصوات خفيضة تشبه الوشوشة. وأنوفهم حمراء ضخمـة. وهي تتقـارب حينما يتكلمون. يمدّون أيديهم حول(منقلة) متأججـة الجمـرات. وهـم بـدو.. ثلاثة مـن البدو فـي خيمة مضاءة بفانوس.. وهم في زجاجة والزجاجة هي رأسي.

أنـا أراهـم الآن فـي رأسـي وأمـام عينـيّ فـي آن واحـد. وأنـا أسـمعهم، لكنـي لاأفهـم مـن كلامهم شـيئاً. وهم يتحدثـون في أمر مـا. وهـا إنـي أراهم يشـربون قهوة بفناجين. يهزونهـا أمام وجوههم ويتطلعون في عيون بعضهم البعض. لهم عيون سوداء غائرة متلألئة، مشـحونة بالانتبـاه والتوجـس. وكانوا يتحدثون فـي أمر ما. ثم أنهوا حديثهم وانسـحب اثنان منهم ليناما تحت أغطية قريبة منهما واخذا بالشخير. أما الثالث فلقد خرج للتغوط خارج الخيمة.

أود أن أمسكهم بأصابعي وأسحقهم مثل حشرات وأطردهم من رأسي. لكن رأسي زجاجة مفرغة وهم هناك ينامون بأمان.

يعـود البـدوي الثالـث من تغوطـه خارج الخيمـة، وينفض ماءً فوق(المنقلـة) فيطفـئ جمراتهـا، ويتسـاقط الرماد فـوق الأغطية، ثم يدخـل فراشـه أيضـاً لينـام. أنا أرى رؤوسـهم المكشـوفة الآن.. أثر

لصلع خفيف وشعر أشيب. كان الثلاثة في عمر واحد، يتشابهون تماماً، لكنهم لم يكونوا إخوة.

حينما أنام من جديد سيعودون للاستيقاظ. يجلسون جلستهم نفسها ويتحدثون في موضوعهم الخطير نفسه. يبدو أنهم قد ألفوا هذا الأمر وكرروه آلاف المرات..موضوعهم، حركاتهم الحذرة، وبردهم الذي لا يحد.

يبدو أنهم لا ينوون مغادرة الخيمة، وإنهم لم يسأموا من وجودهم هناك. يبدو أنهم لم ولن يحتجوا أو أن في نيتهم تغيير موضوع حديثهم.. لكنهم كانوا هناك في انتظار وترقب. إنهم في ترقب للإشارة التي ينتظرون. أرى الآن بنادقهم المعلقة على أعمدة الخيمة. إنهم سيخرجون يوماً ما.. لكنهم الآن سيبقون وينتظرون الإشارة. سيعلقون بنادقهم إلى أكتافهم ويغادرون. أنا أرى في وجوههم الحزم وخطورة الأمر الذي هم عازمون عليه، لكني لا أعرف عن أمرهم الخطير هذا شيئاً. الإشارة لم تعلن واللحظة لم تحن بعد، لذا فإنهم باقون هناك متمهلين، ينامون ويصحون، يجلسون حول النار ويتشاورون بأسنان صفراء. يشربون القهوة ويهزون فناجينهم في وجوه بعضهم البعض. اللحظة لم تحن؛ لذا فإنهم سيتمهلون. سينامون ويصحون ويهزون فناجينهم في وجوه بعضهم البعض.

إنهم في خيمة والخيمة في زجاجة والزجاجة هي رأسي.

ا وداع

ليلى.. هتف باسمها ثم طبع على شامة شفتها العليا قبلة حيية.

اعترفت لها أمها على فراش الموت بأن الإسم (ليلى) ليس اسمها الحقيقي، بل إسم أختها التي تشبهها تماما والتي ولدت مشّوهة بعاهة في شفتها العليا، وفمها ينزف من شق في لثتها. القابلة المأذونة إقترحت قتل الوليدة لأنها كما قالت: لو خلقت ذكراً لاختلف الأمر ولكنها انثى وبسبب العاهة ستعيش حياة مليئة بالآلام والقهر، ولن يتزوجها أحد. وهكذا تم التخلص من الرضيعة بسقيها الزرنيخ قبل حليب الرضاعة. وفي العام الذي أعقب موت أختها الرضيعة ولدت هي وحصلت على شهادة ميلادها واسمها. أما أمها فالموت الذي تمنته طويلاً جاء متأخراً ليرحمها من جحيم تأنيب الضمير.

قبلّها من شامة شفتها االعليا بجرأة هذه المرة.. هبت نسمة باردة وامتزجت رائحة الأشجار برائحة عفونة كرائحة القبور فهتفت له: هنالك شيء أكثر أهمية من المباهج. ثم ودعته.

بغداد 1975

2 وداع

داعبت الفتاة قطة فاحمة الفرو.

علـى نحـو مـا بدا لها ذلك حلماً غريباً، وانها تحولت الى قطة فاحمـة الفـرو مطمئنـة الـى دفـء حجـر فتاة، والأنامـل التي تلامس فروتها برقة تعود لشخص آخر لا تعرفه.

ناولهـا الشـاب الـذي وقـف قربها واضعـا قدمه اليسـرى على المصطبـة الخشـبية حيـث تجلـس، سـيجارة، راسـماً فـوق محيـاه إبتسـامة معلقـاً علـى الطقس وعلى جمال وجههـا ونظارتها. أخذت منـه السـيجارة بأصابـع متـرددة محاولـة بجهـد منع إفشـاء عواطفها المضطرمـة نحـوه. وحينما ملأت صدرها بالدخان، زادها إحساسـها بالرغبة بحضور جسدها، فأحست بألم حاد بسبب الحزام الذي ضاق على بطنها. كانت بطنها قد انتفخت بسرعة. ويا للغرابة، ساور القطة التي كانت في حجرها نفس شعور الفتاة وامتلأ وجودها بنشوة قديمة متوهجة ودافئة. قفزت القطة من حجر الفتاة واستقامت على شكل ظـل قاتـم ارتسـم على الجدار القريب. إتحـد الظل بقامة الفتاة التي وقفت بدورها وغادرت المكان مودعة الشـاب، من دون أن تلتفت خلفها أو تنبس بكلمة أخرى.

بغداد 1975

الطلسم

على بوابة الخان: مسامير ثقيلة صدئة تكّون فيما بينها حلقات ومثلثات تحتل القسم الوسطي والسفلي من البوابة. والمطرقة الحديدية (رأس الأسد المتوثب) كانت معطلة عن العمل. ثمة جملة بسيطة كانت قد خطت بيد واهنة وبالدهان الأخضر، الذي تآكل بفعل الشمس. كان الخبير الأجنبي والمختص بالانتيكات الشرقية قد أبدى إعجابه، وكانت عيناه وهما تتفحصان البوابة، تمّران بالجملة المكتوبة في الأعلى وتتخطيانها؛ فأن مايهمه هو عمر هذا الخشب وهذه الصناعة، وكل تلك الشقوق التي يموت فيها ظلام بغدادي قديم.

داخل الخان ثمة بضائع من كل صنف: أطوال أقمشة، براميل فيها مواد كيمياوية، عطور، أقداح وأوانٍ خزفية، لعب أطفال..الخ. كانت محفوظة في صناديق مكدسة على الأرض ومهملة؛ لأن العمل قد توقف، والرجل الذي نقل كل هذه الأشياء موجود في إحدى غرف الخان لا يقوى على الحركة. خمسون عاماً والرجل هنا. جاء منذ كان صبياً مع عائلته الفارسية إلى الكاظمية من أجل (الزيارة).

وفي زحام (الزيارة) آلآف الرؤوس، آلاف البشر المحتشدين يتدافعون، يشدونه ويجرفونه بينهم ويملأون رأسه بكلام وصياح مدوخ. لقد فقد عائلته، غير أنه لم يذرف دمعة واحدة من أجل ذلك. جاء بالضبط في الوقت الذي جاءت فيه البوابة. كان قد عمل سقّاء للماء في الكاظمية، غير أنه قرر في النهاية أن ينتقل إلى (الشورجة)

حيث أمضى حياته هنا في زقاق الخانات بهدوء.

في أوقات الظهيرة كان هذا الرجل الذي تغطي وجهه لحية كثة عريضة يجلس بجثته الضخمة قريباً من بوابة الخان، يلامس أكتاف الأطفال ورؤوسهم، يدفع بحبات الهيل إلى جيوبهم، ويرسلهم حاثا إياهم على أن يدخلوا البيوت خوفاً عليهم حتى من أشعة الشمس! وفي المساء يطوف في الزقاق، يسأل الناس إذا كانوا في حاجة لخدمة يقضيها لهم.

هذا الحمّال الذي لم يكن له أحد ويربح أرباحاً جيدة، كان يفرق نقوده بين الأطفال، كما كان يفرق أكياس الهيل على عوائل الزقاق جميعاً؛ مما كان يكفيهم من هذه المادة الكمالية تماماً. لا أحد يعرف سر ولعه بالهيل على الرغم من أن أحداً لم يشاهده يلوك واحدة منها. إئتمنه الجميع، وزاره أولاد الحي في غرفته المنعزلة في الخان، ولقد أطلقوا عليه لقب الأصفهاني.

في حيّ من أحياء لندن الآن متحف مغمور للأنتيكات الشرقية، فيه بوابة ضخمة، كتب عليها طلسم غامض كان قد خطّ بيد واهنة وبدهان أخضر تآكل بفعل الشمس(مات الأصفهاني يرجى عدم المراجعة بشأنه).

القسم الثاني

النبوءة

نجوم الصباح الذاوية تنطفئ واحدة اثر أخرى وينكشف بالضوء المحمر شاطئ الطين وبيوت الشناشيل المنكفئة الى الضفة وابعد قليل.. الأزقة المتشعبة،الحواجز والسطوح التي التمعت فيها اسلاك الغسيل واندلعت من بعضها السنة اللهيب.

كان الجريح الملقى الى الضفة في غيبوبة وقد انغرس رأسه وذراعاه في الطين، أما جذعه السفلي فقد غمرته المياه، وأخذ الدم ينزف من جروحه العميقة من ذراعيه وعنقه وظهره بشدة. وكان يهتز ويكاد ينفلت من مكانه، يطوف وينسحب الى النهر الذي بدا طينيا تلك اللحظة. واخذت الأمواج التي تضرب الجرف تلقي باحشائها الطافية.. مئات من الأشياء المحمولة الخفيفة تصطدم بجسمه، وتبتعد مكونة نصف حلقة من حوله باتساع ذراعيه.

كانت حشوة النهر ذات اشكال داكنة وبراقة. اعشاب وقطع اخشاب سمراء. حجارة واصداف وحصى. مخلفات معدنية وحيوانية وكسار صخور وخرق وحطام جذور. بذور او رموز انبعث فيها النبض الحيّ وهي تنساب من طرف الموجة التي ابتعدت مبتلعة معها طبقة جديدة من الرمال.

يفلت الرأس من الطين، ويختلج الجسد اختلاجات سريعة، ثم يفتح الجريح عينيه، وبوهن، بوهن شديد، يتعرف على موضعه، وينصت لأقدام المطاردين المتنقلين في الأزقة القريبة.

كانت المدينة سوداء قاتمة تنيرها ألسنة النيران ويتوجها عش

كبير من الدخان.

لم يكن قادرا على مواصلة الهرب ورغبة عظيمة للاستسلام او النوم كانت تملأ جسده بخدر مضن وعينيه بدموع ليس فيهما أيما شفقة على النفس. وتتعثر انظاره الهائمة بحدود المياه، الظلمة، واجهات بيوت الشناشيل،القباب، ثم الجرف.. هذا المكان الأليف، ويلتقي بمقذوفات النهر المحيّرة امامه.. ذلك القوس العجيب من الأشياء، كما لو نشرتها كف عراف للتو.. حاضرة، ثقيلة، مقلقة، تمتلئ بالايماء: علامات وطلاسم وانعكاسات.. وجوه بغدادية قديمة وجديدة.. وجوه لسلاطين ولصوص وصور لحرائق ونكسات وفيضانات وكوارث واوبئة، مخطوطة اشكالها وتواريخها على الحصى وظهور وبشرة الأصداف والجذوروالحجارة.. ارواح هلامية، واسرار واحلام ودموع.. كسار سيوف ونتف كتب وفُتات عظام. التاريخ المأساوي للمدينة، ماضيها المروع، احتفظ النهر بها حتى الآن.

(القى المدافعون عن المدينة بدروعهم وخوذهم ورماحهم وسيوفهم والتجأوا الى الظلال والجدران، بعد ان استبد بهم العطش واحرقت شمس تموز اجسامهم تحت معدات الحديد. اما تيمورلنك المتوجه نحو المدينة فقد أمر جيشه المؤلف من عشرة الاف مقاتل ان يرفع امامه رأسا مقطوعة من رؤوس البغدادين كي ينجوا بجلده. ولقد بنيت من تلك الرووس ثلاث ابراج عالية آمام مداخل المدينة علامة للنصر والظفر)(*)

حوّل الجريح عينيه نصف المغمضتين نصف الميتتين باعياء

(*) بعض العبارات مأخوذة من كتب تأريخ مدينة بغداد.

شـديد الـى مجموعـة اخرى مـن الأصداف والحجـرات في محاولة للتخلص من طوفان المشاهد التي كانت ترهقه بشدة.

(اسـقط الطاعون في يوم واحد سـبعة آلاف، واخذت الوفيات تـزداد حتـى تقلص عدد سـكان المدينة الى النصف، وطاف الأحياء والأموات حينما فاض النهر. اختلطت الحيوانات والأثاث بالمطعونين والأصحـاء. مات الدفانـون والحرس والمؤذنون والحطابون والباعة والبلامـون ومـات الرضيـع جوعا بعـد ان قضى الوباء على الأمهات والأباء. وخلت الطرقات من المارة، وانقطع الناس عن زيارة اهاليهم واقاربهم. غير إن الجرذان، كانت تقفز من سطح الى سطح ومن دار الى دار، ناقلة الوباء الى الجميع).

كانـت ألسـنة اللهيـب فـي المدينـة تتصاعـد.. تُسـمع اصـوات انفجارات هائلة ورشقات رصاص. صافرات حرس ليلي، تجمعات جنود وقطعات عسكرية كلها كانت تقترب من الجرف.

موجة اثر موجة

موجة اثر موجة

(جثث القتلى والجرحى تسري منتفخة فوق المياه..اجزاء بشرية مقطعة أو مبتورة أو متعفنة. بقايا اثاث مجروقة ورماد ملابس وافرشة اشتعلت فيها النيران).

جابـت الشـاطئ مجاميـع كبيـرة مـن الجنود والحرس وفتشّـوا المكان بعيونهم وفوهات بنادقهم لكنهم لم يعثروا على شئ.

كان الجريـح البغـدادي قـد نـزف كل دمـه وفقد الأمـل. تأمل المجموعـة السـحرية التـى امامه، أغمض عينيـه وبكل ما تبقى عنده

مـن قـوة، رفـع يـده وكأنمـا بحركة تحـدّ أراد بها أن يغير كل شـئ، عبث برموز وطلاسم النبوءة النهرية، ثم سكن وقد تخلص من الألم.

انزلقـت الجثـة بكاملهـا الـى الميـاه. وهبطت الموجـة الأخيرة لتغسـل عن الشـاطئ تلـك التجربة القصيرة المثيـرة وتغطيها بالزبد. انسـحبت الجثة مع المياه، ثم هبطت ببطء، ببطء شـديد مع أحشـاء النهر، الأصداف والأحجار واستقرت في أعماق النهر الذي سرعان ما أشرقت فوقه شمس كبيرة من مكان ما.

روما 1980

مهاجر

كان ينقل حقائبه الأربع بصعوبة. سينتهي عاجلاً بالموظف الذي سيؤشر له تذكرة السفر. كان ينقل حقيبتين خطوة إلى الأمام، ويدفع الأخريين بقدميه، حيث كانتا ثقيلتين وكأنهما حشيتا (بالصخر). وكان يضطر بعض الأحيان إلى رفعهما عن الأرض. فيتفصد العرق من جبينه.. لقد حذره أصدقاؤه من البرد والجليد وزودوه بمعاطف وبطاطين إضافية. أما الحقيبتان الثقيلتان فقد حشاهما بالكتب.. مكتبته الصغيرة التي جمعها بصعوبة واستودعها غرفة أحد الأصدقاء.. مختارات شعر وروايات عالمية وأوراقه الكثيرة ورسائله الخاصة.

بعد خمس دقائق سيتخلص من كل شيء، سيدفع بالحقائب للموظف كي تنقل إلى الطائرة ويرتاح لأكثر من عشر ساعات.. مكان دافئ، طعام، مضيفة جميلة.. عشر ساعات من الحياة الحقيقية. لقد خبر تجربة السفر أيام شبابه الأول، حينما كان يتغرب نزقاً وترفاً. غير أن هذه المرة كانت تختلف. لم يودعه أحد. من اسطنبول إلى أثينا، ثم البندقية. فرنسا، روما، باليرمو، نابولي، روما، تريست، جنيف وهاهو مهاجر إلى أمريكا.

مهاجر؟ كشر الموظف الإيطالي.

ـ نعم.

لم يكن معه جواز سفر، بل أوراق زودته بها الشرطة، حينما وجدته نائماً في إحدى حدائق روما العامة يرتعش من البرد. وضع

الموظف ختمه على الأوراق، ثم أشار إليه أن ينقل الحقائب إلى الميزان.

- هل هذه الحقائب كلّها لك؟

- نعم.

- هل ستدفع إجرة الوزن الإضافي؟

- بلع ريقه (أيّ وزن إضافي !) لم يخبره أحد. لماذا لم يفكر بذلك؟!

- مسموح لك أن تصطحب حقيبتين.. وسأتغاضى عن وزنهما الإضافي

- لا أستطيع التخلي عن هذه الحقائب.. إنها كل أمتعتي.

صمت الموظف الإيطالي ناظراً في عينيه وكأنه لم يفهم تمتمته الركيكة. كان هو يفكر محموماً.

مرت لحظات طوال.

المسافرون ينظرون إليه.

يحمر وجهه!

ثم هتف:

حقيبتان فقط ولا يهم الوزن.

- حقيبتان فقط ولا يهم الوزن. أجاب الموظف الإيطالي.

ارتعشت يداه. كان عليه أن يختار. فكر بالبرد. شعر بالصقيع يلامس عظامه، أسنانه تصطك.. نعم. عليه أن يختار حقيبتي الثياب والبطاطين، سحقاً للكتب.. الكتب لا ترد عنه الصقيع والتجمد في بلد غريب ومدينة قاسية كنيويورك، ثم بإمكانه لو حالفه الحظ.. أن

يجد كتباً هناك!! كان عليه أن يتخذ قراراً حاسـماً.. لحظة واحدة.. الطابـور ينتظـر خلفـه.. وجـه الموظـف يجلـده.. تقدم خطـوة، رفع حقيبتين ووضعهما في الميزان. إنتفض مؤشر الميزان بعنف.. كانت الحقيبتان ثقيلتين وكأنهما حشيتا (بالصخر)!!

روما 1988

النافذة

لـم يقطـن أعدائـي حـول بيتـي ولـم يفكـروا بالسـكن في هذه المدينة، وأنا لا أعرف أحداً، ولا يعرفني أحد.

هناك نافذة يخرج منها رأسـان عجوزان يراقبانني حينما أدخل المنـزل. العجـوزان يسـمعان خطواتي في الصباح الباكر فيسـتيقظان ويفتحـان النافـذة. يتكئان الى الحاجز وينظران مباشـرة إلى أسـفل.. إلى الحديقة.

ينقطـع العجـوزان عن الحديـث حين أخرج. يتظاهـران بالنظر إلـى جهـة أخـرى، ثـم يعودان ليواصـلا الحديث بهيـاج حين ابتعد. العجـوزان وحيـدان وهمـا لا يخرجان أبدا، ولا يُعرضان جسـديهما لأشـعة الشـمس إلا في اللحظات القليلة التي تصاحب خروجي أو دخولي، ثم يعودان إلى الداخل. النافذة تغلق بعد ذلك، ثم تفتح من جديد مساءاً قبل دقائق قليلة من موعد خروجي.

تلتصـق صورتـي علـى الواجهـات الزجاجية لمخـازن المدينة. أترك رائحة معطفي الجلدي على أرصفة الميناء وبين أجنحة نوارس رمادية شرهة. أشرب فنجان قهوة في المقهى المقابل. أجلس واضعاً يدي على المنضدة متطلعاً إلى الفتاة ذات الشعر الأحمر التي تتحدث فـي الزاويـة. تتحـدث الفتـاة بعصبية وتنفخ في شـعرها الذي يضايق عينيهـا. بيـن شـفتيها سـيجارة تحترق وهي تتحـدث باضطراد ولكن بشكل غير مسموع.

أعود بخطوات بطيئة مودعاً السفن الصغيرة، وأشرعة القوارب

الملونة.

فوق ثيابي حين أعود، رائحة ماء البحر ورائحة الصيادين والعقب المحترق لسيجارة الفتاة.

أعود كعادتي مبكراً إلى البيت فأرى العجوزين يصبّان قدح ماء في سندانة فوق نبتة غير مرئية. حينما أدخل أتوقف برهة في الردهة المظلمة وأشعل سيجارة.

خلال النافذة العلوية المتربة للباب ألمح العجوزين يتشاجران وهما يناقشان موضوعي الشائك المحير.

كانت سيارة مستشفيات بيضاء طويلة قد توقفت ليلاً وأنارت مصابيحها زجاج نافذتي. أحد العجوزين ينقل بنقالة.

النافذة مغلقة منذ أسبوعين ولا أثر لوجود العجوزين.

أخرج إلى ردهة الدار وأتطلع إلى فوق.. إلى النافذة المغلقة.

ما عرفني في هذه المدينة غير العجوزين.

أتنهد بعمق وأمضي بخطوات ذات وقع باتجاه رصيف الميناء والسفن الراسية. أفكر بأعدائي وأتمنى أن أرى العجوزين من جديد.

1984

عودة

مضى ينهب رصيف المحطة التي دخلها قبل ساعتين ذهابا وإياباً وكانت باردة برودة الموتى جلس على حقيبته لكي يستريح، أو ينفخ بين كفيه ليدفئ أصابعه.

ولكثرة مروره بالواجهات الزجاجية المغلقة حفظ تفاصيل معروضاتها الكابية الألوان والمغطاة بالغبار والتي أثقلته بالكآبة، وكان بعد كل عشر دورات يرفع رأسه، ويحدق في عقارب ساعة البرج المقابل فيلفيهما مازالت متوقفة في نفس مكانها لحظة دخوله المحطة. وربما بسبب عدم معرفته للوقت أو بسبب مكوثه الطويل وذاكرته الحزينة بدت له معالم المحطة بكل تفاصيلها: (القاطرات الصامتة، السكك الموحشة، الأبنية الصفراء، الأدغال الكثة، الرصيف الساكن، غرفة الناظر الخالية، خزان الماء، كشك الهدايا، غرفة الإنتظار وباب المرافق العامة) وكأنها قد حفرت في عقله بشكل لا يمكن التخلص منه أو تحريك الحياة فيه أبداً.

كانت ترى من واجهة كشك الهدايا الزجاجية المغلق دمى صغيرة واقفة بملابس فلكلورية إيطالية تتميز بينها واحدة لها وجه مصبوغ باللون الأسود. وتذكر أنه سلخ الأسبوعين الماضيين وهو ينتزع الحصران الطويلة التي تظلل أرض مخيم (خليج الجنوب) ويؤدي أعمالاً شاقة وسط تقلب الطقس وبرودته مع حفنة من الشغيلة الأجانب من أجل تهيئة المخيم لفصل الشتاء.. كان أحد العمال الزنوج قد لامس عموداً كهربائياً مبتلاً بالمطر. بقي جسم

الزنجي المتفحم نصف نهار وسط بركة الماء ويده موصولة بعمود الكهرباء حتى غطت جسمه النفايات وأوراق الأشجار المتطايرة المبلولة. حينما فتشوه لم يعثروا بين أسماله وحاجياته على أوراق أوعناوين تدلهم على أهله. وبعد حوار طويل بين مدير المخيم وموظفي البلدية رخصّواً أوراق الدفن. ولقد تم دفنه فعلاً في مقبرة صغيرة بمحاذاة جبل يطل مباشرة على البحر تحت شاهدة خشبية كتب عليها

(هنا مات زنجي غريب يوم 18/ 8/ 1984)، وسمحوا للعمال بالتوقف عن العمل نصف نهار لمرافقة الجثمان غير إن عدداً منهم تلكأ ليستغل الوقت للراحة بدل حضور المراسيم.. وعند سفح الجبل كانت الأمواج صاخبة على الرغم من ان الطقس كان هادئاً تماما، وخيل للعمال وهم يحدقون بعيدا عبر البحر، رؤية الشاطئ الأفريقي خلف بركان (سترونبلي) وقال أحدهم: (ستنتظره حبيبته أو أمه على ذلك الساحل لأعوام طويلة قبل أن تيأس من عودته). ثم شوهدت الأمواج تطوق القبر وتضرب وجوه المشيعين برذاذ مالح.

موت الزنجي كان مثاراً لسخط العمال فتململوا وتوجّسوا سوء الطالع أما هو فلم يصبه الإستياء بقدر ما عصر قلبه الحزن واجتاحته رغبة عارمة للكف عن العمل والهروب الى مكان ما أليف إلى نفسه. ولكي يحقق ذلك تعلل بفقدانه لنظاراته الطبية؛ لكي يعجل بأمر تسريحه من العمل.

من خلف الأبنية المقابلة سمع صوت عامل أجش الصوت يتحدث الى طفلة صغيرة، ثم سمع الطفلة تجهش ببكاء متقطع.

بعد ذلك ظهر عمال المحطة من البيوت المحجوبة واجتازوا حاجز الأعشاب البرية الطويلة، ثم توقفوا قرب الرصيف يهيئون بعض المعدات لقدوم القطار الذي تصاعدت نفثات بعيدة من بخاره فوق صفوف الأشجار القاتمة. وأخيراً وصل القطار ومضت نوافذه المضاءة الخالية من المسافرين تمرق حتى توقف بعربته الأخيرة أمامه. تسربت الى أصابعه من المقاعد والقضبان قشعريرة؛ فسارع الى اغلاق النوافذ في الممر وداخل الكابينة. رفع حقيبته الى الرف فوق المقعد المقابل لمقعده ثم جلس غاطساً بعنقه بين جناحي ياقة معطفه وهو يسمع جلبة وضوضاء عالية لسلاسل تسحب ومفاصل ترفع؛ فخمن ان عمال السكك الذين كانت تصله أصواتهم بوضوح قد بدأوا يهمَون بربط القاطرات أو فصل أسياخ السكك الحديدية عن بعضها البعض. سمع ضحكة قصيرة، ثم لمح وجهاً ذئبياً يمرق لصق زجاج نافذته ويرمقه بنظرة لسعته كالسوط وتركت مذاقاً ثقيلاً مراً في فمه وروحه. حدث ذلك بسرعة خاطفة ولم يعرف هل كان ذلك الشخص أحد العمال، وساورته الأفكار والشكوك. إرتج جسمه بقوة بفعل ارتطام عدة عربات بعربته ثم انطلق القطار خارجاً من المحطة.

***

حينما فتح جفنيه المجهدين، بعد أن نام لبعض الوقت، أحس بقشعريرة وبرودة داخل الكابينة. خمن أن القطار توقف وكالعادة فتح المسافرون النوافذ لإلقاء نظرة فضولية على الرصيف وعلى المحطة مما جعل البرودة تتسرب الى داخل القطار، كما لو أنه أصيب بالعدوى رفع زجاج النافذة وأدار رأسه في كل الاتجاهات،

لكنـه لـم يـر أيّ ملمح مـن الملامح المألوفة للمحطات واكتشـف بأن عربته كانت منفصلة ومتوقفة لوحدها في ذلك الخلاء. تكثفت الدهشة إلى حلم مشبع بألف سؤال: هل تعمد عمال المحطة فك روابـط العربـة لكـي تنفصـل اثناء السـير؟ هـل كان يحلم؟ هل هو يقظ؟ أغلق النافذة وعاد الى موضعه متحسساً وجوداً بارداً كالجليد يذوب ويرشـح عبر مسـامات جلده. خرج وسـار بخط مستقيم فلم يعثر على أيّ إنسـان أو يرى قرية قريبة. وفجأة انزلقت أمامه حية صغيرة بخط متعرج واختفت بين الأشـواك. مشـى بخطوات حذرة بيـن نباتـات طويلـة متوغلاً كما لو إلى مالانهاية. لسـعته حشـرات طائـرة مرّكبـة لـم يرَ لأشـكالها مثيلاً من قبـل. حلّقت فوقه غربان سوداء كانت خفقات أجنحتها تحرك السنابل وأغصان نباتات عباد الشـمس السـامقة التى ارتفعت فوق قامته.... وأخيراً تندى الهواء وتحولـت الأرض هشـة خضـراء مغطاة بالجذور وهشـيم السـيقان الجافة التي كانت توحي بموسـم الحصاد. عبر قنطرة فوق جدول رقـراق وناعـور يجّـره حصـان، ظهـرت القريـة والجبـل والحقول والقنطرة والحصان وكإنما من لا مكان. رؤية الحية الصغيرة وعبور القنطرة فوق الماء الرقراق، ثم رؤية أهله المتجمعين بصف واحد، كل هـذا جعلـه يشـك بأن ما يراه حقيقة تحـدث في الحاضر. كان أهله قد تجمعوا ليشيعوا ويدفعوا جثمان شخص ما ملفوف بكفن أبيض إلى حفرة معدة مسبقاً.

هل عاد في وقت غير مناسب؟ كان مسروراً لرؤية أهله الَذينَ فارقهم منذ عقود. كان يود أن يقترب منهم ويضمهم بشـوق إلى صـدره ولكنهـم كانـوا مشـغولين بدفـن الجثمـان ولم يعيـروه أي

اهتمـام. اقتـرب من الحفرة ونظر الى وجه الميت ولشـدة دهشـته أنه رأى وجه الزنجي المتفحم المحروق قد تمثلت ملامح وجهه هو بأدق التفاصيل. الآن فهم ما كان يدور حوله وما يحدث له.. عـرف بـأن الجثـة المحترقـة فـي المخيم في ذلك المـكان البعيد، جنـوب ايطاليـا بمواجهـة البحر كانت جثته وليسـت جثة الزنجي. إختلج للحظة غير أن الأمان تسرب الى وجوده بسرعة. فتح عينيه ليتطلع الى وجوه أهله فألفاها سوداء محترقة ملفوفة بالأكفان. متى حـدث هـذا؟ متـى مات أهله دفعة واحدة. سـمع ضحكة سـاخرة كالتي سمعها داخل القطار يتردد صداها؛ فتتهشم الأجسام وتتطاير الرفات والخرق وتتحول الى دوامة من غبار وسخام تغطي الأرض على مدى البصر.

***

بعـد نصـف سـاعة.. تحرك القطار خارجاً مـن المحطة منحرفا الى جهة الشـمال، فأصبح بإمكانه الآن رؤية الرصيف وغرفة الناظر والبرج والساعة العاطلة وقامات العمال الخمسة بملابسهم البرتقالية السـميكة وهي تبتعد وتصغر لتتلاشـى خلف أشرطة الأعشاب البريّة ونباتـات الحلفـاء الطويلة. أغمض عينيه وحينما فتحهما كان الدفء قد سـخن الكابينة، فعدل من جلسـته المتشـنجة ماداً ساقيه مسترخياً بكامـل جسـمه علـى المقعـد. مـن بعيـد كانـت تلوح بيـوت متفرقة لفلاحيـن وغابـة كثيفـة خضـراء تحولـت بسـرعة الـى حاجـز داكن تحـت زرقـة الغروب. وعلى زجـاج نافذة القطار المضببة من الجهة الخارجيـة انزلقـت قطـرات نـدى بتعرجـات مضطربة علـى انعكاس

صورته وصورة الكابينة الداخلية، وتحول العالم مع إطباقة الليل الى نفـق داكـن يجلجل داخل الأنفاق الكثيـرة المفاجئة التي كان القطار يخترقها في سيره الكليل.

1984 كلابريا ايطاليا

كل شئ أخضر

كان مصاباً بالصرع. حالة نادرة من الصرع تجعل الجسم ينام، يسكن ويهمد حتى ليخيل أنه ميت. لم يكن أحد يعرف عن مرضه شيئاً. لـه صديق أو صديقان تعـرّف اليهما أثناء رحلاته الطويلة بين الخانات. كان يبيع الجبن، وقد إطلعته النسـوة السـاحرات على أنه (سيعيش عشـرات المرات، ويموت مرة واحدة) كان يسـقط فجأة، ويبقى لساعات وحتى أيام وهو على حاله ذاك، وكان يحلم (بالرجل الأخضر) حلم ذات يوم أن الرجل الأخضر قد ظهر. كان واقفاً في رقعة خضراء، تمتد فوقه سـماء خضراء، وتسـتحيل كل الأشـياء التي يلمسـها إلـى اللـون الأخضر. كان عدد مـن الناس حوله قد تجمعوا غيـر مصدقيـن،وكان هـو بينهم. حينذاك إقتـرب الرجل الأخضر منه ومسّ ذراعه؛ فأطاعه ورقد على الأرض. رفع الرجل الأخضر سيفه وهوى به فشطره شطرين دون أن تراق قطرة دم واحدة. أعاده الرجل الأخضر بعد ذلك إلي الحياة وقال له: ستصبح من أعواني.

كان يومـاً مطيـراً فيـه بـرد ورعد حينما وصـل رجل الجبن إلى بغداد. دخل أحد الخانات التي تؤوي مسافري الليل والغرباء بأجور زهيدة. لم يكن أحد يعلم عن مرضه شيئاً، ولقد كان متعباً فلم يخبر أحداً بذلك. سقط رجل الجبن واستحال على الأرض جثة هامدة..

هل تعرفونه؟

لا

هل يملك أوراقاً أو هوية؟

أهذه أمتعته؟ سننقلها معنا الى (المركز).

رُفعت الجثة وامتدت أكف تشبه الكلاليب لرجال يرتدون بدلات الشرطة. مضت هذه الأيدي بالجثة إلى الشوارع والهواء والليل والظلام، وانحرفت أخيراً لتدخل في رواق طويل أبيض فيه مصاطب من الخشب بنيّة اللون. وضع الرجال الجثة، وكان الشرطي الذي جلس ينتظر حضور طبيب الخفر، ويدخن سيجارة، تنبئ عيناه أنه كان يتطلع إلى نجيمات ذاوية تذرّ في عينيه النعاس. كان طبيب الخفر على عجلة من أمره ومتعباً دون شك. دوّن بسرعة في ورقة ترخيص الدفن (وفاة طبيعية) ثم رفعت الجثة من جديد، وحُملت على عربة تهتز. امتدت الأصابع؛ لترسم خطوطاً متشنجة طويلة انتهت فجأة عند أصابع مكتنزة هامدة. سُكب ماء بارد على الجثة، حيث كانت مسجاة على حجارة المغتسل الرخامية.

وفي مكان ما كانت الحفرة قد هيئت وكوّم التراب على الجانبين.

ظلام حالك يلّف المقبرة. حارس المقبرة والشرطي ورجل المغتسل كانوا ثلاثتهم فقط متأهبين الآن لدفع الجثة المجهولة إلى مصيرها الأخير. فجأة اختلجت لفائف الكفن البيض ودبّت فيها الحركة! كانت الجثة قد نهضت وانتصبت واقفة وفي عينيها ارتسمت صورة الرجل الأخضر؛ فابتسمت بحب.

رجل المغتسل وحارس المقبرة والشرطي ذعروا. غير أن أصابع الشرطي كانت قد تحركت بشكل غريزي وامتدت إلى المسدس..

أزّت ثلاث طلقات نارية؛ فسقطت الجثة من جديد، وقد تلوثت لفائف الكفن بدماء بدت في ظلام الليل الموحش خضراء اللون!

بغداد 1978

الكابوس

كنت ممدداً بكل جسمي في سريري يقظاً وحالماً في الوقت نفسه، أسمع صوت مؤذن جامع الكَيلاني له بحة غامضة وحزينة. أخمن انها الخامسة صباحا. لم أر نور الفجر بعد. ألتقط صوت حركة وسط الدار. إنها أمي تعد الفطور. أسمع طرطشة ماء وصوت حركة ابريق. الصوت يأتي من الحمّام. أجزم أن أمي تتوضأ لصلاة الفجر. لا بد أنها سمعت الطرق هي الأخرى فتوقفت عن الوضوء وتوجهت نحو الباب.

الزلاجة الحديدية ترفع. أسمع أصواتاً رجالية خافتة.

من دون أن استيقظ أغادر فراشي وأسير كالنائم. أرى أمي المسربلة بالسواد تتحرك ببطء زاحفة باتجاه السلم. لم يوقظ النقر أخواتي الثلاث أو أخي الصغير. أحس بهم دون أن اراهم. صدورهم ترتفع وتنخفض برتابة النوم. أهبط السلم وأمر بأمي دون أن أنظر إلى وجهها. أحس ببرودة بلاطات الدار. أكتشف عري قدمي. أتقدم عبر المجاز وأرفع الستارة. باب الدار نصف موصد. أرى ثلاثة أشخاص بملامح متشابهة. لم تكن للوجوه عيون أو أنوف أو آذان. الوجوه كلها عبارة عن مستطيلات داكنة يتوسطها مربع أسود وفم بلا شفاه. خمنت أنهم رجال الأمن أو أعضاء الحزب. انتبهت إلى رشاشاتهم الموجهة مباشرة إلى صدري. لم يتحدثوا، بل أصدروا ضوضاء لا شبه لها بالكلمات. فهمت معنى أوامرهم. لمحت غضون وجه أمي وقد امتلأت بالفزع. عدت ومعي الأوراق الثبوتية. طلبوا مزيداً من

الأوراق.. كل الأوراق. جدي هو الذي بنى هذه الدار، وجيلان من الأبناء والأحفاد ترعرعوا فيه. أكدوا لي معرفتهم بأدق التفاصيل. كنت أحاورهم وهم يردون بلا كلمات. كان ذلك كافيا ليؤكد لي بأنني مازلت أحلم.

سحبوني من ذراعي ودفعوني هذه المرة بخشونة. كنت أسير ببجامة النوم حافياً. رأيت شاحنتين عسكريتين متوقفتين عند فتحة الزقاق. قادوني باتجاه الشاحنة الأبعد وساعدوني على الصعود. جلس عدة أشخاص في صمت بلا حراك وكأنهم فقدوا الشعور. كانوا من أبناء الحي. جلست قرب شخص رمقني بنظرة مواسية.

انتبهت بسرعة إلى أن المسلحين كانوا قد دخلوا البيت. مرت دقاق طويلة وعسيرة. خرج المسلحون أخيراً بصحبة أخواتي الثلاث وأمي وأخي الصغير. كانت لهم وجوه بلا تعبير، زرقاء بلاانفعال وكأنهم ماتوا منذ أمد طويل. قاد المسلحون أفراد عائلتي واصعّدوهم الشاحنة القريبة من الزقاق. رأيت وجوههم للمرة الأخيرة.

المسلحون طرقوا أبواباً أخرى. امتلأت الشاحنة بالنساء والأطفال بسرعة.

تحركت الشاحنات واهتزت؛ فاهتزت معها كل الأجسام والرؤوس. ضجيج المسلحين يختلط بأزيز محركات الشاحنات. الشاحنات تتفرق إلى جهات متقاطعة ومجهولة.

الرائحة من حولي أمست نتنة. أجد نفسي مستنداً بظهري إلى جدار غير سوي رماديّ ولزج. لطخات بصاق، مخاط، بول وحتى غائط ودم كانت تلوث الجدار. الرائحة لا تطاق وكان "الفيلية" يتلاصقون بأجسامهم ويتحركون باستمرار. نتوء في الجدار كان يثقب

ظهـري ويضطرنـي إلـى التململ. كم مضى عليّ في هـذا المكان؟ أحسست بفقـدان القـدرة علـى التذكـر. هذه ليسـت المـرة الأولى، التـي يرصّوننـا فـي غرف قذرة، يخرجوننا كي نـرى النور للحظات، ثـم يغطـون عيوننـا بقطع قماش نتنة. يطوقـون أيدينا خلف ظهورنا. يوقفوننـا قـرب حفـر كبيرة مليئـة بالدم والمعدوميـن ويطلقون علينا الرصاص. تسقط أجسامنا فوق بعضها البعض. يوارونا التراب ليوم أو يوميـن ثـم يشـقون حفرنا مـن جديد ويعيدوننا بطابور إلى الغرف القـذرة. يدسـون إبـراً طويلـة فـي أوردتنـا ليتأكدوا مـن موتنا وخلو أوردتنـا مـن الـدم. كـرروا هذه العمليـة مئات المرات وسـيكررونها الى ما لانهاية.

كل مـرة يطلقـون النار، كانوا يخطئونني. يطلقون على جسـمي ويتجنبـون رأسـي عمـداً. ابقى متخشـبآ. أنتظر علـى مضض. يقترب شـخص منـي، أسـمع قهقهتـه المعهـودة. يقرب مسدسـه من وسـط جبهتـي ويطلـق مـرة واحـدة. أحس بجسـمي خفيفاً، وأسـقط داخل فجوة بسعة الفجوة التي تركتها الرصاصة وسط جبهتي.

أسقط كما لو أني أسقط من عل، من سماء وغيوم.

أتـرك فتحـة واسـعة بحجم جسـمي في الغيمـات التي يخترقها سـقوطي البطيء. بخدر أوازن جسـمي، وأسـند رأسي بكفي كما لو كنت متكئاً على وسـادة من ريش. أسـقط أخيراً بين الأجسـام الميتة واستيقظ. أسمع صوت مؤذن جامع الكَيلاني له بحة غامضة وحزينة. أسمع طرطشة ماء، وصوت حركة إبريق أمي وهي تتوضأ للصلاة.

امريكا 1998

الوطواط

تسلمت المفتاح وقصدت غرفتي بخطى متعبة. لقد قضيت صباحاً مرهِقاً جديداً بالتنقل بين الشركات والدوائر من أجل الحصول على عمل، ومن نافذة غرفتي شاهدت سطوح المنازل تتلاحق بشكل غريب وكأنما البيوت نفسها متداخلة بعضها ببعض. جاءني عامل الفندق بعد قليل وهو رجل عجوز أشيب. وقف عند الباب وبقي صامتاً. عرفت فيه عامل الفندق لأنني شاهدته في الأسفل. طلبت منه أن يغيّر الشراشف؛ فلم يستجب. طلبت منه أن يأتيني بقدح شاي فتجاهل كلماتي كأصم. اقتربت منه بلطف ووضعت يدي على كتفه وأعدت عليه طلبي الأخير. لم ينطق، بل ذهب بسرعة وبنشاط لا يتناسب مع عمره ولبى طلبي. لاأعرف لماذا أحسست تجاهه بالشفقة وهو يحاول تغيير شراشف السرير. كان عمره مقارباً لعمر أبي.

أنا آسف لإتعابك.

هل تعمل هنا منذ زمن؟

.ـ يا عم ألا تسمعني؟

وهنا أدار وجهه إليّ وبخطى رتيبة هذه المرة وبعينين خائفتين مرق من أمامي، وانسلّ بهدوء إلى خارج الغرفة.

فـي اليوميـن الأوليـن تعرفت بشـاب كان يقيم فـي الغرفة التي تجاور غرفتي. وحينما كُنا مجتمعين ذات مسـاء نحتسـي في الشـرفة أقداح البيرة، لمحت رأس العامل وهو يعبر الزقاق ويختفي في أحد البيوت الخربة.

كلمت هذا العامل منذ يومين، لكنه لم يرد عليّ، هل هو أصم؟

كلاّ، إنه مجنون..

شرقت في البيرة ودفعت بما تبقى منها إلى خارج فمي.

مجنون؟!

يبدو لي هكذا.. أو ربما هو بليد أو متخلف عقلياً. أترى هذا البيت الذي دخله؟ إنه بيته، حيث يعيش مع زوجته.. ولو رأيتها لما صدقت عينيك..شابة في غاية الجمال.

كانت البيرة قد فعلت فعلتها؛ فأخذ يسرد لي هذه القصة. قال: زرت زوجته ذات مساء، دخلت الغرفة فوجدت عامل الفندق(زوجها) وقـد وضـع رأسـه في حجرهـا وأصابعها تداعب شـعره كما لو كان طفـلاً. حينمـا رآني تزحزح إلى الخارج وتسـمر عنـد البوابة يراقبني طـوال العمليـة. أصارحـك بأني لم أحس بلذة كبيرة بسـبب وجوده. ولقـد عرفـت فيمـا بعد أنه حينما ينهي عمله في الفندق، حيث يبقى حابساً نفسه طوال النهار، يهرول بسرعة ليختفي في بيته، ولا يخرج منه حتى ينتصف الليل وتخلو الشوارع من المارة، ثم ينطلق بعدها فـي جولـة طويلـة لا يعود منها حتى يخرج أول إنسـان وتبدأ الحياة في الحركة، ومن ثم يعود أدراجه سائراً لصق الجدران ممزقاً قماش دشداشته لشدة احتكاكه بها. كان وجه الشاب قد إحمرّ بسبب البيرة

وتحمسه للموضوع؛ فأخذت يداه ترسمان الكلمات في الهواء وهو يتحدث. قال: كان أمر هذا الرجل قد شغلني تماماً؛ فقررت أن أتبعه في مرة من مرات تطوافه الليلي. أعددت لذلك عدتي. شربت كمية كبيرة من القهوة؛ كي أبقى يقظاً، وعند منتصف الليل تقريباً أطفأت نور غرفتي، وخرجت إلى الشرفة أرقب باب بيته.

لم يطل انتظاري؛ فبعد نصف ساعة خرج رأس صغير توهمت في البدء أنه ليس رأساً بشريّاً.. تلفّت العجوز يميناً وشمالاً، وحينما تأكد من خلو الشارع تماماً؛ دفع بجسمه كلّه إلى الخارج ومضى سائراً. نزلت بسرعة حتى أنني أيقظت بعض نزلاء الفندق بضجيجي. كان الرجل قد وصل إلى نهاية منعطف واختفى هناك. فكرت أنها فرصة سانحة أن اخرج الآن، حيث أستطيع أن أتبعه وأراقبه دون أن يشعر بوجودي. مضيت أتبعه نصف ساعة. كان يتحرك بخطى ثابتة ورياح الليل تداعب ردني دشداشته. كان يسير وسط الشوارع، أما انا فكنت مختفياً في كسرات الجدران وخلف شجيرات الأرصفة. فجأة أحسست بدوار في رأسي، وحينما فتحت عينيّ؛ وجدته قد اختفى.

خرجت من مخبئي،وعدوت لعلّي أعثر عليه. كنت متيقناً بأن نزهته الليلة هذه تحمل سراً غامضاً. كان فضولي الشديد يدفعني لاكتشافه. ومن ثنية في الشارع وأنا لا أزال أعدو، قفز علي شخص له وجه انجلت منه وحشية مرعبة. لا أتذكر كيف عدت إلى الفندق وأيقظت بعض النزلاء وأخبرتهم بالأمر. كانت الدماء قد سالت من وجهي وبللت قميصي ببقع كثيرة. سرنا جميعاً إلى البيت المهدم، دفعنا الباب فانفتح. كانت الزوجة تضمه إلى صدرها وتداعب شعره.

كان يردد: إني خائف..

وكانت هي تبكي.

ضحـك الشـاب؛ فايقظنـي صوته على حقيقـة أنني قد تأخرت كثيراً.

ودعتـه علـى عجـل، وعدت أدراجي إلـى غرفتي ولم انم تلك الليلة.

بغداد 1978

الجواد

الى رياض

استطاع بأعجوبة ان يهرب، أن يعدو بكل ما في جسمه من قوة. وبما انه عبر جبالاً وصحارى، سهولاً ووديانا. قطع أنهاراً ومحيطات، فقد اطلّ علينا بتلك الهيئة،التي لا يجد امامها ايّ أنسان آمن إلاّ أن يصرخ رعباً.

لقد هرب من الموت. تسلل من الجحيم بأعجوبة. كانت عيناه جاحظتين بارزتين وشعره تلون بلون الطين والقار والدخان وعلى وجهه ارتسمت معالم وتضاريس الأراضي التى عبرها والأمطار والأعاصير. كانت أنفاسه قد تقطعت. وكان فمه الذي غدا كفجوة جافة، يتلعثم بكلمات متنافرة غامضة، تترك إنطباعاً واحداً هو ان ذلك الشاب المسكين كان يرتعش خوفاً.

كنا نحتل أنا واصدقائي الثلاثة غرفة صغيرة. غرفة من أظلم غرف الأرض وأشدّها رطوبة. وكان من الطبيعى جداً أن نفسح لذلك المخلوق المرتعش مكاناً على الأرض لينام فيه، ويشاطرنا طعامنا. وكنا هكذا طوال أيام عديدة.. وكلما جمّعنا المقاطع الى بعضها؛ نعرف بالتخمين ولكن دون يقين أن الهارب من أحشاء الجحيم هذا يدعى جواد. أما وثائقه الصفراء الممزقة والتي ضاعت وامحلت فيها الكلمات؛ فلم تكن لتنفعنا أو تساعدنا في الكشف

عـن ايـة معلومـات جديدة سـوى أنه كان من اصـل عراقي! لم نكن نعرف بالتحديد من أين؟ أهو من الريف أم من المدينة؟ من الجنوب أم مـن الشـمال؟ غيـر ان ذلـك لـم يكـن يهمنا على الأطـلاق؛ لأننا كنا نرى فيه صورتنا الحقيقية منعكسـة بصدق دون رتوش لضمائرنا القلقـة وأرواحنـا المرهقـة بالأشـباح والموتـى والظنـون. فـاذا كنـا نسـتيقظ اثر كابوس صارخين في الظلام، كنا نجده قبلنا يقظاً بعينيه الجاحظتين وشـعره الطيني هناك متشـنجاً متلفتاً الى الزوايا وموشكاً على الأختناق؛ فكوابيسنا كانت كوابيس نوم، أما كابوسه ففي اليقظة ودائم ومستمر. وكنا نرعاه ونتتبعه، نحرسه ونمرضه كأخ حقيقي.

أحياناً، وفي أوقات متباعدة، كنا نحصل على عمل، أيّ عمل، وكنا نقدم خدماتنا كمجموعة: صبغ دور، توزيع اعلانات، تنظيف.. الخ. نجمع ونقتات على ما نحصل عليه ببطء شديد وبحرص دون التفكيـر بالكماليـات أو بـأي سفاسـف أخـرى مشّـكلين عائلة فقيرة حقيقيـة، كومونـة صغيرة بمعنى الكلمـة. فكرنا ذات يوم باصطحاب جواد معنا، علّ جو العمل يعيده للمحسوسـات وينسـيه خوفه. غير اننا ما إن وصلنا العمارة؛ حتى إعترضنا المدير المسؤول ويداه عند خاصرتيه! لقد البسـناه ملابس نظيفة، لكن شـعره بقى أشـعثاً خشـناً متناثراً في الهواء رغم اننا غسلناه بالماء والصابون، وعالجناه بكمية كبيـرة مـن الدهـون! عدنـا ادراجنـا وتركناه فـي الغرفـة وقررنا عدم اصطحابه أبداً.

***

مرّت ستة اشهر... إنقطع جواد خلالها عن تناولَ الطعام بشكل

منظّـم، وكان يبـدو اكثـر تأزما من أيّ وقت مضى صامتا متطلعاً الى المصباح، ومشيراً بعينيه وأصابعه دائماً الى الزوايا: مخلوقات عجيبة وهـوام لامرئيـة تحاصره؛ فيبدأ الصـراخ. وكنا نكمم فمه بايدينا غير انه كان يعضنا ويفلت منا؛ حتى فوجئنا بصاحبة العمارة، وهي امرأة عجـوز زنخـة قـذرة بـكل ما في الكلمة من معنـى، عند باب الغرفة، وهـي تهـدد بطردنـا إذا مـا بدأنا خصامات جديدة. أقسـمنا لها بعدم وجود شـجار وان تلك الصيحات التي سـمعها الجميع ما هي غير صرخات صديقنا المريض المتألم، لكنها حذرتنا بتلويح قبضتها من جديد، وبصقت على الأرض.

قررنـا أخـذه الـى طبيـب. وبما اننا لم نكن نملـك أيّ نوع من الضمانـات الطبيـة؛ فقـد اكتفينـا بالحبـوب المهدئة، نسـحقها له مع الشـاى والطعـام. وذات مسـاء، حيـث تركنـاه فـي الغرفـة بمصاحبة مسـجل وأغـان عراقية..وجدنـا بـاب الغرفـة مفتوحاً والقفـل منتزعاً وجواد غائباً.

لقد هرب جواد.. إختفى، عدا بأقدام من ريح.

***

لاأعـرف فكـرة مـن كانـت تلك؟ غيـر ان أحدنا توقـع على ما يبـدو مثـل هـذه الخاتمـة. كتبنـا عنواننـا ووضعناه فـي جيب جلدي صغير، وعلقناه بسلسلة في عنقه مثلما تعلق الأجراس بأعناق الجياد الأصيلة. وبما اننا لم نكن نملك هاتفاً؛ فإن رسالة من إحدى الدوائر الرسمية وصلتنا تتضمن ما يلي: وجدنا هذا العنوان بصحبة مجهول الهوية؛ فرجاؤنا لأيّ شخص له معرفة أو علاقة بالمتوفي، الإتصال

على العنوان التالي. وفي نهاية الورقة العنوان، أما التارخ فيعود لأسبوع مضى.

لقد مات جواد.. توقف عن العدو! غير أن حضوره غيرالمرئي، لازمنا لشهور بعد ذلك. كان ظله الغامض يقترب منا، ونسمع حفيف خطاه، دوراته الخرساء في الغرفة، ثم صرخته الموحشة المفاجئة، التي يتردد صداها طويلاً طويلاً قبل ان يتلاشى مع ضوضاء الظلام.

احتفظ بجواد بعد التشريح في ثلاجة مدة ثلاثة ايام. وفي مثل هذه الحالات، واذا لم يتقدم احد؛ فإن الجثة تعاد الى المختبر حيث تنتظرها المشارط والمباضع.. تجرى عليها اختبارات وتحليلات، تقطع ثم يعاد تقطيعها أسوة بجثث مجهولي الهوية الأخرى. تبقى شهوراً وحتى أعواماً حتى اذا ما تم جمع اكبر كمية من المخلفات والنفايات، ثم توضع في أكياس صفراء، وتدفن في قبر جماعي. وعند الحفرة يرسم قس عجول اشارة الصليب. أعيدت الجثة الينا أخيراً، فقام (السيد) العراقي الذي هب لمساعدتنا والذي تعهد بنفقات الدفن بغسله وتكفينه وسط الغرفة وعلى منضدة الطعام الطويلة المتآكلة الطلاء أمام عيوننا. ثم عطّره بالمسك وماء الورد، ووضع بين أسنانه أعشاباً لها شذى غريب.

كانت المقبرة بعيدة وكان الثلج قد بدأ يتساقط. كانت مقبرة واسعة باردة، بل غابة موحشة مكتظة باشجار الصنوبر العملاقة الباسقة. ولقد قسّمت الي مقاطعات..كنا نتوغل عميقاً عميقاً بين الصلبان ونجمات داود، حتى وصلنا الى مرتفعات جرداء، حيث كان المغتربون المسلمون يدفنون موتاهم. قال السيد: قليل من التراب.. التراب فوق الميت محبب.

كان الطقس بارداً، وكان جواد نظيفاً هادئاً مسربلاً بكفنه الأبيض لا يظهر منه سوى وجهه العراقي.

اتفقنا عندما انفصلنا بعد ذلك بعام، أن نبقى على اتصال ببعضنا.. فلو مات أحدنا؛ فسيتكفل الباقون بدفنه. لعلنا مثل جواد نتحول الى محض ظلال.. ظلال لا يراها أحد، ولا تخاف من أحد؛ فنعود أحراراً في نهاية المطاف.

امريكا 1992

الأنيـن

ينبثق الصوت مثل طرطشة أمواج ضعيفة فوق ساحل صخري منعـزل.. ورويـداً رويـداً تطبق صافرة ريح بعيدة، وتفتح الأمواج كل حنجرتها، وتقسـو الصخور، وتتهشـم الأمواج بضربات عالية، تزداد حدة وسـرعة مع نبضات قلبه. ينظر حوله.. ليس هناك من مهرب. يدخـل إصبعـه في أذنيه، ويحشـر حنكه بين ركبتيـه. تنفجر العاصفة فوقه، فيحس بالريح تطوق مساماته... ثم يهدأ كل شيء..

لحظة صمت.

إصبع ما تتحرك بين الأرض والسماء.

الشفق اللازوردي.

الإشارة السرية، ثم يبتدئ العالم بالولادة:

الأصوات الأولى للطبيعة، صيحة ديك، إنبثاق نبتة من الأرض، خفقـة جناحـي طائـر يحلق للمرة الأولى. خطوات إنسـان أوحيوان. إنجراف مياه. تختلط الأصوات كلها من جديد خفيفة ولكن مسموعة بإيقاع واحد مضطرب متداخل قوي، ولكن غير مفهوم، ثم تقفز من الوشوشـة الغامضة صَيحة أو صوت ناتئ لتكسـر جذع، كلمة عالية، صرخة، آهة، تمتمة، صفير، زئير.. قطرة مسموعة في بئر يعقبها أنين طويل لنفس واحد. قوي جدا، متألم، يشق أذنيه ويرعب عقله.

***

لم يكن مؤمناً بالخرافة، غير انه غيّر غرفته. كان الصوت يأتيه حينما يدخل فراشـه، ويتذكر أنه قضى يوماً رتيباً شـاقاً، وان جسـده يستسلم الآن للراحة ولعذوبة بخار الحمام الساخن، الذي أخذه قبل لحظـات.. سـمع الصـوت فجـأة هكذا وبلا مناسـبة او سـابق انذار. فنهض من سـريره، وطاف في الغرفة وضرب على الجدران. مفتشـاً عن سبب لكل هذه الجلبة الغامضة (لابدّ أن هناك عطباً خطيراً في أحد المواسير) فكر بادئ الأمر، ثم تخلى عن الفكرة حالماً تلاشى الصوت. لقد أمضى في هذه الغرفة أكثر من أربعة أعوام، ولم يعهد له أن سـمع شيئاً كهذا.. لابد انه التعب والأعياء، غير ان الصوت عاد في الليلة الثانية، في اللحظة نفسهاالتى اغمض فيها عينيه محاولا النوم.

الصـوت حقيقـي وواضـح، انـه لايحلـم. فتـح النافذة فرشـقته ريـح بـاردة مـن طرقـات خالية، عـاد ووضع اذنه علـى الجدار(لابد ان شـخصا مـا قـد فتح ورشـة صغيرة فـي احدى الغـرف الأرضية! كيـف يمكـن لاحـد ان يقلـق نوم الأخرين المتعبيـن والمرضى على هـذا النحـو!). انصـت بشـكل اعمق.. انها ضجة مـن نوع اخر، كما لو ان الريح قد وجدت لها منفذاً او نفقا فيها. بل ان االصوت اكثر تعقيداً وتشـعبا من ذلك. اصوات وانفاس إنسـانية غامضة. عاد من جديد الى فراشه، اطبق جفنيه، ووضع حشوتين من القطن في اذنيه وحـاول ان ينـام. كانـت الوشوشـة تتحول رويداً رويدًا، وبشـكل لا يقبل الخطأ الى انين.

***

يخترق الأنين سداد اذنيه، بل ينبع من داخل الحشوة، بل من اذنيه نفسيهما من جسمه، من اطراف اصابعه. انه يسمع حركة مفاصله، قرقرة معدته، نبض قلبه، سريان الدم في اوردته، صمماته الضاربة، الحركة المشحونة داخله، شئ لا ينقطع ولا يمكن تجنبه. انها ضوضاؤه هو. ابعد حشوتي اذنيه بحركة عصبية. فأبتعد الصوت وانسحب الى الجدران من جديد.. كلا.. ان تلك الأصوات لها قدرة غريبة للتحول والوصول اليه. وفكر بالذبذبات غير المسموعة، غير ان الصوت لم ينقطع. بل اصبح اكثر وضوحا وقوة هذه المرة.. ياتي من ناحية واحدة، من ساعته المنضدية الموقوتة قرب السرير. دق قلبه بعنف، وكان الصوت قد تحول تلك اللحظة بشكل نهائي الى مخلوق شرير. ضغط على الساعة التي ترن معلنة السابعة صباحا فتوقف صوت المنبه، وتوقف معه الأنين فجأة، ياله من كابوس! ذهب الى المغسلة وفي المرآة الصغيرة، اكتشف وجها لم يعرفه.. كانت بشرة وجهه قد تجعدت واصفرت، وتلون جفناه بلون يشبه لون السخام، وتبعثر شعره الدهني في كل مكان. غسل وجهه بماء ساخن، وضرب وجنتيه بيده عده مرات، كي يعيد الدم واليقظة الى رأسه.

ابتلع جرعات ساخنة من القهوة دون ان تكون له شهية للأفطار. وجد احد مستخدمي الفندق في الطابق الأرضيّ. وبكلمات سريعة غير مبالية شرح له مشكلة المواسير المحطمة داخل الجدران والأصوات التى تقلقه ليلاً. غير ان مخاوفه كلها كانت قد تبخرت مع اضواء الصباح ومع الوجه البليد غير المكترث للعامل الذي لم

يفقه منه شيئاً على اية حال.

***

عند خروجه من العمل، وجد نفسه ينعطف ويختار من بين المجلات الكثيرة المعروضة في كشك الصحف، مجلة طبية متخصصة. وفي الساعات التالية، في المطعم الصغير، وفي المقهى التى يقابل فيها بعض المعارف. عكف على قراءة المقالات التي تتحدث عن الأمراض العقلية، صور باهرة التلوين لأجزاء من الجسم منتزعة ومشرحة بكل الألوان: القلب الأحمر القاتم وعروقه السوداء، الوان الدماغ، الخلايا والأوردة والفصوص والغدد والأفرازات.. البنكرياس، القولون، العضام المحطمة، الخلايا الشوكية، المكروبات المكبرة، البكتريا، الغدد اللمفاوية.. السائل المنوي.. ترك المجلة على طاولة المقهى، وخرج، وحرارة محرقة تطوق حنجرته.

في غرفته، وقد آب مبكرا، اكتشف انه احتفظ بمجموعة من الصحف والمجلات والمنشورات الدورية التي تصله مجانا في البريد.. صور جديدة لجثث وقتلى وجنود وحرائق ونيران وحروب. مقالات عن معارك، انتصارات. عناوين بارزة عن مجازر انسانية، كوارث طبيعية، ارقام محددة لموتى، كتل هائلة من اجسام بشرية متراكمة فوق بعضها او مصفوفة بنسق واحد. وجوه مشوهة، عيون جاحظة. افواه مفغورة، رعب اخر اللحظات، وصرخة الموت التي دفنت والى الأبد في الحناجر. تذكر انه سأل احد ساكني الغرفة المجاورة عن الصوت غير ان ذلك نفض كتفيه وغادر الرواق بعجل.

انها مشكلته وحده اذن.. ان الصوت في غرفته وحدها. وحينما سمع الصوت.. الوشوشة.. الأنين. اطبق جفنيه مؤمنا ان ليس هناك من وسيلة لأيقافه. غير انه لم ينم وبقيت عيناه معلقتين بشمسية صغيرة متدلية من سقف الغرفة. كانت لطخات الأقذار تتخذ شكلا: عينين، وجهاً بشرياً، انفاً وفماً مفغوراً. وكان الأنين ياتي من تلك الفتحة، من ذلك الفم.

هذه ثالث غرفة يغيرها خلال اسبوع. حينما انسل الى السرير تحت الشرشف ا لبارد انسل اليه، وبنفس درجة التوتر الدفين، ذلك الصوت، من لا مكان، بالدرجة التي ايقن فيها بوجود خلل ما، بوجود مخلوق ما ان صح استسلامه اليائس للوهم يطارده ويدفع بموجات الأنين الى اذنيه، بشفرات حلاقة الى اوصاله جميعا. هل يقفز من الفراش ويضرب الهواء بقبضته صائحا: انت. فيتوقف الأنين. هل يحيل تلك الوسوسة الشيطانية الى حوار: لماذا لا تحدث نتخاطب. مخلوق لمخلوق. نتفاهم وننفض ايدينا من كل هذا لبؤس. انني اعرف اقدار الناس وقدري الشخصي. اعرف انني ساموت يوما بالتفاتة استثنائية من الأقدار ولكن. توقف الانين فجأة. هل يقول شكراً؟ لم يكترث كثيراً، فأن موجة من العبث والسخرية من النفس طوته بعيداً، وهو ينحشر بين الأغطية، في بحر نوم عميق وثقيل. ولكن قبل ان يرن صوت المنبه في غرفته خيل له انه سمع الانين من جديد.

جمع مجلاتاً وصحفاً وكتباً اخرى.. عن ماذا كان يبحث؟ لم يكن يعرف بالتحديد، غير انه كان يعتقد على نحو ما، غامض

تماماً، ان سـر الصوت يكمن هناك. فكرة من الأفكار الطائشـة معلقة في احدى الصحف او الاعمدة غير ا لمثيرة.

انها فكرة ما، حدث، او اعداد واحصائيات، تنبثق منها الأشارة او التلويحـة التـي تجعلـه يكتشـف ا لسـر. عـاد بعـد ان زار طبيبـا متخصصاً بالأمرض النفسـية والعقلية الى غرفته والى سـريره، والى الانين الذي لا يكف عن ملاحقته. ادعى الطبيب ان لاسبب للخوف والريبة، فهو مجهد لقلة النوم فقط.!

توقف عند النافذة، كانت الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليـل. حـدق فـي مربـع الظـلام الـذي هـو المدينـة كلهـا بوميضها واضوائهـا الخافتـة المنعزلـة. كان الأنيـن قـد جعـل يديه ترتعشـان. سدد انبوبة مسدس اسود قديم مزيت بعناية وبعيار كبير كاف ليوقف حياتـه دون خطـأ. وحين مـس َ الحديد والفتحة الباردة عرق صدغه النابـض. انقطـع الصـوت وحـل محله صوت طويـل مكبوت، وكان يسـمع حشـرجة رئتيه وانفاسه. كانت اصابعه تتحسس النتوء السفلي مـن الحديـد الـذي غـدا ثقيـلا في يده. غيـر انه لم يكن قـادراً على الحركة او تغيير موضعه.. مشلولاً تماماً، وكأنما منذ ساعات، شهور، قرون.

كان الصمـت يختنـق، يبتـدئ، يتوحـد، ورويـداً رويـداً، تاتـي الريـح.. الريـح البعيـدة المذهلـة. تنبثق من شُـعب وثقـوب مجهولة المـكان، تندفـع وكأنمـا مـن الماضـي، مختطفـة معهـا ذرات رمل، قطـرات دمـع، ابتسـامات، وجوهـاً، افواهـاً، شـفاهاً.. معالـم مقبـرة كاملـة، متخلفـة ومنسـية فـي مـكان ما في رأسـه. تندفـع الريح عبر

ماسـورة المسـدس، تدخل نهاية الأسطوانة السوداء، وتقطع المسافة بين الأصبع المرتعشـة، والأذن التى كان ينبض خلفها عصب قوي. يتحرك الأصبع، ينكشف السر، ينقطع الأنين، وينتهي المشهد.

امريكا 1992

الشبيه

انحنت العجوز المسربلة بالسواد، واخذت تجمع قطع الصحن المتناثرة، والذي تحطم عفواً قبل لحظات. كانت تمسح الغبار عن المواعين والقواري في الدولاب الزجاجي ذي المرايا، حين تعثرت يدها بذلك الصحن الثمين القديم،الذي توسطه رسم باللون الأزرق البارز لشخص ما.

ارتعشت اصابعها فوق المنديل الكبير وهى تجمع القطع المتناثرة، ومن عينيها لاح شئ أشبه بالدموع. لكن ملامح الوجه أبت أن تتجمع إلى بعضها.

دخل مصلح (الفرفوري) الساحة حاملاً معه كيس الجوخ وعجلته الدوارة ووجهه وسره الكبير. كان في الخمسين من عمره، وكانت هيئته تدعو الى الريبة كما لو ان الرجل تنكر بتلك الحلة لغاية ما. كان فيه لطف لا يناسب صنعته. وتوقف عند طرف الساحة قريباً من تخوت مقهى مكشوفة، يراقب بعينين نصف مهمومتين الحركة وردود افعال الناس تجاهه.

أبو جواد صاحب المقهي تمتم مع نفسه: أي وجه غريب يملك ذلك الرجل؟ إنه يذكرني بشخص ما! ثم كما لوخطرت للجميع الفكرة نفسها وفي وقت واحد؛ نظر رواد المقهي، في عيون بعضهم البعض وكأنهم لا يصدقون ما يرون! تجمهر اشخاص في شرفات حول الساحة، فتحت نوافذ ثم اغلقت. فتحت أبواب وانسل منها شيوخ وعجائز صبيان تمشوا في الساحة، وتلكأوا هنا وهناك ثم

عـادوا السـير. تجمعـت نسـاء قليـلات، وفـي أيديهـن أوان محطمة وسكاكين ومقصات وفؤوس وجلسن على الأرض، ثم أخذن يثرثرن بأصوات خفيضة، وأيديهن تتحرك بانفعال تحت فوطهن السوداء.

تشـمم أعمـى بديـن متفرد في أحد تخوت المقهـى، الهواء ثم تشمم يديه وعصاه وزفر متأوها: يا إلهي أهذا معقول؟!

كان مصلـح الفرفرفـوري الذي ترك حذاءه على الأرض، ودفع العجلة الدوارة، يعمل بجد من دون أن يرفع رأسه؛ مما دعا الآخرين الى التقرب منه أكثر فأكثر.

وتجـرأت عجـوز داكنـة السـمرة، محنية الظهر على الوشوشـة في أذنه وهي تنقده اجرته؛ فارتسـمت على وجهه إبتسـامة عريضة، فبدا الشبه الآن عجيباً، بل غير معقول. وتفوه صاحب سبحة (يسر) طويلـة، كانـت خرزاتهـا تطقطـق بانفعـال، ويلمض بلسـانه ماسـحاً شفتيه.. إنه هو.. إنه هو دون شك!

كان النـاس قـد تجمهروا على شـكل حلقـة كبيرة حول مصلح الفرفوري، مماجعله يحس بالارتباك والضيق، فجمع ادواته في كيس الجوخ، وعلق عجلته بكتفه تماماً كما جاء ومن الجهة نفسـها سـار تشـيعه العيون حتى اختفى تماماً. تقلب الناس في أسـرّتهم الصيفية فـوق السـطوح تلـك الليلـة ولـم ينمـوا. كانت عيونهم المسـهدة قد تعلقت بتلك الصورة الغريبة المرسومة على القمر، فبلبلتهم الأفكار والأمنيات..

وضعت العجوز المسربلة بالسواد، الصحن الذي أعاده مصلح الفرفوري الى الحياة. في مكانه بين صحون الخزف الصيني القديمة

المتربـة.. فتوضحـت ملامح الوجه المرسـوم باللـون الأ زرق البارز وسط الصحن. عكست المرآة الجانبية للدولاب، السدارة والابتسامة العريضة، بل كل وجه الزعيم.

روما 1980

ثلاث أفاع

هـذه الأفاعـي التـي تسـكن حدائقنا وجـدران بيوتنا أو التي تحيـا معنـا، فـي داخلنـا لكننا لا نراها؛ علينـا أن ننتظرها لنقابلها ذات يوم.

أفعى رقم (1):

علـى إحـدى البلاطـات المرمريـة الصقيلـة. والتـي تكّـون في مـا بينهـا سـلماً صغيراً وقفـت الفتاة تتطلع إلى الحديقـة. إنها تلمح الآن أحـد جوانـب السـور المرتفـع والـذي حجب عنهـا كل ما يقع فـي الخـارج. تمـلأ رئتيها رائحة جـذور النباتات الرطبة المسـحوقة وتدعوهـا لأن تنقـاد مستسـلمة، فتخطـو ببطء وببطء شـديد، تتلفت برقة إلى البيت الضخم الصامت! وكأنها تخشى أحداً يراقبها. عبرت الفتاة ممراً ضيقاً بين نباتات كثيفة تكوّن سياجاً طويلاً، وكانت تتوغل داخل البستان.

كانت الفتاة ذلك المساء قد ارتدت ثوباً عريضاً شفافاً ذا لون أرجوانـي، توزعـت عليه وريقـات خضر زين محيطها خيط فضي له بريق. كانت تحس خشونته على طول ذراعها العارية. وحينما مرت ببركة رائقة للمياه يتوسـطها تمثال (كيوبيد) شـاداً قوسـه ودافعاً بمياه الصبي من فمه، مرت بانعكاس صورتها في الماء؛ فأحست بأن شيئاً ما في داخلها قد تغير. هذا البيت اللعين أما كان على والدها شراءه

في مكان أفضل! لمحت الفتاة عجوزاً خرباً يقف عند البوابة الجانبية للبستان، فتقدمت منه وراحت تتأمله..

البستان مليء بحشائش وحشية متشابكة قد تعرضين حياتك لخطر إحدى الحشرات أو الزواحف إذا توغلت اكثر..

أنت الحارس؟

نعم.. لقد أعفاني والدك من صيانة البستان ولقد بعثنا إلى القرية لجلب بستاني شاب.. مثل هذا العمل لا تقوى عليه إلا عضلات مفتولة.

ابق ولا تخشَ شيئاً.. سأجوب البستان بمفردي.

كان ظل الفتاة يبتعد رويداً رويداً، وقريباً من البوابة استسلم الحارس الشيخ لصمت وسكون محايد. كانت الفتاة تحس برائحة التربة تملأ منخريها، وكانت الأرض تحتها قد استحالت هشة، وأخذت الأعشاب البرية التي نمت في كل مكان تسد عليها طريقها، وتخدش ساقيها غير أنها كانت تمضي بخطى عنيدة غير آبهة بشيء. حينما التفتت إلى الخلف وجدت أن القصر أمسى بعيداً، وفكرت أنه بستان كبير، والزهور التي تملأ المكان رائعة. فكرت للحظة أنها بعيدة ووحيدة في هذا المكان. هذه الفكرة جعلتها تقاوم شيئاً وحشياً ملأ صدرها؛ فأخذ يرتفع وينخفض بسرعة فائقة(ترى ماذا لو فاجاءتها أفعى الآن؟!)

وشكل الأفعى جعلها تحس برعدة تسري في بدنها. لن تفاجئها الأفعى فانها ستقوم بعمل فريد، ربما لم تسبقها إليه واحدة

من بنات جنسـها.. إنها ذاهبة لتبحث عن جحور الأفاعي.. ستجد واحـداً، جحـراً صغيـراً يقـع في جذع شـجرة عجوز، وستمد يدها، لـن ترتجـف، وستلامس أصابعهـا كرتين رقيقتيـن، وحينما ترفعهما إلـى وجههـا ستجد بيضتـي الأفعى تستقران وسـط راحتهـا. حينها تُقبل الأفعى وتقابلها وجها لوجه، ستخرج الأفعى لسـانها المشطور وتتوثب للهجوم، وستكون الفتاة في وضع يتيح لها كامل المجابهة. ستبدو قويـة وجريئـة إلـى حدّ كبير، ستمد قبضتها إلـى أمام وبينما عينـا الأفعى تلتمعان بوحشـية، ستطبق هي أصابعهـا على البيضتين فتسحقهما.

اضطربت الفتاة، ودون أن تشعر أخذت تقفز ببطء بادئ الأمر فـوق النباتـات الشـوكية، ثـم انطلقـت راكضـة ورغبـة غامضة تفجر شرايينها.. قنفذ صغير يتحرك ببطء. بقايا جذور محروقة. طفل تدلى من شـجرة يسـرق ثماراً قريبة من السـور. ثلاث علب من الصفيح اسـتحال طلاؤها إلى اللون الأسـود. براز حيوانات.. أعشـاب برية. البستان استحال حولها إلى دغل كثيف يعترضها ويحاصرها من كل جانـب،،،، لـم تتذكـر فـي النهاية وهي تعود بخطى بطيئة، وأنفاسـها قـد هـدأت تمامـا، كيف أنها قد سـقطت على الأرض، وهل أن هذا الجرح في إصبعها والذي كان يسيل منه ببطء دم وردي اللون.. قد سببته لها أفعى حقا.

أفعى رقم(2):

تجلـس المـرأة التي هجرها زوجها وحيدة على العتبة. اتخذت

لها من بساط مربع الشكل ذي خطوط طويلة عديدة الألوان، مقعدً، ومن جدار غرفة نومها (جدار الطين) متكأ. السماء وحدها وجدار الطين يحاصرانها في بؤرة روحها المتفجرة المتدفقة المتجددة الخامدة.

ليست تعيسة.

ليست سعيدة.

لكنها أمرأة مهجورة وتنتظر. تنتشر فوقها خيوط النور اذا حركت رأسها الى السماء. كل هذا النور مصدره نجمة واحدة، نجمتها التي رافقتها منذ ولادتها، والتي ولدت حينما ولدت هي. حظها الصغير وبؤسها الذي لا يحد.

ما الذي جعلها تنتظر، لماذا لا تغادر هذا البيت الى الأبد، تغادر هذا الجدار وهذه السماء الكاذبة التي لا ترحم؟ واذا هبطت عيناها علي الجدار فهناك عشب اخذ يخضر من حول الثقب ثقب الأفعى!!

على الجدار نفسه أخذ العشب ينمو. عام أو عامان.. من يعرف، ربما سيغدو هذا الجدار حديقة، وستبقى هي جالسة ترقب الزهور وهي تتفتح زهرة بعد زهرة. تتفتح أوراقها الدقيقة واحدة تلو اخرى وتصيح باسمها. ستكون هناك حديقة ياسمين كاملة!!

انها تحس بالتعب. ما هذا العرق الذي أخذ يرشح من جسمها ويبللها. ألا تنهض؟ ألا يمكنها ان تقف على قدميها؟... لقد حان الموعد.. هاهي ساعة غرفة الزفاف تدق الواحدة بعد منتصف الليل.

دقائق وستظهر الأفعى من الثقب. غرفة الزفاف التي جلست عند عتبتها، نظيفة ومرّتبة كغرفة من البلور كأنها مهيأة لاستقبالها لأول مرة. أما الغبار فقد ازالته الأفعى بنفسها. السرير الواسع وشرشف الدخلة نظيف لم يتسخ بعد، لم تسقط عليه قطرة دم واحدة. مرآة (ميز التواليت) الواسعة لم تر نفسها فيها بعد. ثمة خط أحمر قد شوه المرآة، لقد لمحته الأفعى وهي تمر فمسحته لها، كما لو كانت امها هي التي فعلت ذلك.. أما تذكر أمها الآن؟!

أحلام وأحلام، سماء وجدار وأفعى، مصيرها المجهول.. ها هو ستة شهور وهي هنا لا تنام ولا تغادر مكانها. ستة شهور طويلة وهي وحيدة ومرمية في قعر هذا البيت هذا التنور.

وأخيرا عدت!

عدت.

متأخرا!

هبت المرأة من مكانها والتصقت بزوجها الذي أخذ يضمها الى صدره.

كل يوم كل ليلة.. وفي مثل هذا الوقت كنت متأكدة من انك ستعود.

لقد أصبحت نحيفة ولونك شاحب.

انها هنا.. ستظهر بعد قليل.

من؟

الأفعى.. أفعى طيبة تتحلى بعدة أجراس تدق وتدق حينما

تتحرك.

أين؟

هنا في الجدار. بعد أن رحلت! كانت تظهر لي كل يوم. شيء مثل حلم.. حينما رأيتها أول الأمر، خفتُ لكنها تكلمت معى كلاماً طيباً، قالت انها ستصبح صديقتى.

ماذا بعد؟

كانت تحضر في مثل هذا الوقت، تدور في أنحاء البيت، تنظفه وتعد لي السرير. تنظف الغرفة وتنفض عنها الغبار. وحينما تنهي عملها في البيت، تعود فتجلس قبالتى.. هنا.. في نفس المكان الذي تقف به الآن بالضبط، تحدق فيّ وأنا احدق فيها وأشعر كل يوم أن شيئا فيّ ينضب. فوجهي يجف، وشفتاي تذبلان، كما لو أن الموت يدب اليّ. نبقى صامتتين كل ليلة، حتى تبزغ نجمة الصبح، فتعود الأفعى بهدوء وسط الجدار.

ـ ها ان لونك بدأ يعود اليك.. ووجهك يتورد، تعالي لأضمك الى أحضاني.

أتعرف.. أشعر وكان كل ذلك كان حلماً.. حلماً مزعجاً.

تعالي لندخل.

دخل الرجل وزوجته(غرفة الزفاف) بينما كانت الأفعى تغادر الجدار ثم البيت والى الأبد.

أفعى رقم (3):

كانت الغرفة مظلمة، يدخلها ضوء ضعيف شاحب من فرجة

الباب على شكل مثلث غير متناسق الأضلاع يرتسم فوق السجادة ثم ينكسر وتتلاشى نهايته فوق السريرين المتلاصقين. حاول إيقاظ أمه المريضة

.ـ أنت نائمة؟

هل وضعت لها الماء والملح والخبز؟

.ـ نعم.

حسنا نامي الآن.

خطا الأعزب الكهل على السجادة، وبينما كان يفتح الباب؛ اندفع الضوء فجأة فغمر جسم الرجل ووجهه، بينما انقلبت المرأة العجوز في سريرها متضايقة. كان الممر المنّور ضيقاً جداً ويتصل مباشرة بدرجات السلم المؤدي إلى الطابق الأرضي. وفي منتصف السلم توقف الرجل الكهل ليلتقط أنفاسه، فامتلأ أنفه برائحة نتنة، هي رائحة غرفة التواليت المنبعثة من أسفل. كان الطابق الأرضي مهملاً تماماً، وكانت الفسحة الصغيرة المبلطة بطابوق عريض أصفر، والتي تتحلق حولها الغرف الثلاث الخالية قد بدت أشبه ما تكون بمطبخ على الرغم من قطع الأثاث القليلة المتناثرة فيها.

أدار الرجل الكهل مفتاحاً صغيراً في قفل أحد الأبواب فأنفتح بصرير حاد. كانت الغرفة خالية وقد عششت فيها العناكب. وعلى الأرض الترابية الرطبة (أرض الغرفة) كان هناك صحنان وقطعة خبز يابسة (لقد قضمت من الخبز وشربت من الماء والتهمت قليلاً من الملح) تأوه الرجل العجوز:

- لقد أصبحت واحدة منا. الآن هو والأفعى وحيدان في هذا البيت الفارغ. التفت فرآها. كانت صغيرة جداً وجميلة. تبعها. خرجت من الغرفة واتجهت إلى إحدى الأرائك القديمة الموجودة في مجاز الحوش. كانت بجلوسها الخفيف قد تركت أثراً غير محسوس على ظهر الأريكة.

كنت أنتظرك.. كل يوم تضع أمي لك الماء والملح والخبز.

ماذا كنت تعمل؟

أين؟

فوق.

كنت أعتني بها.. المرض والشيخوخة.

ـ سأعد لك الشاي..هل أنت جائع؟

الوجه بسيط. شعر فاحم. عينان داكنتا السواد. شفتان رقيقتان بل بالغتا الرقة. ملأت الغلاية بالماء ووضعتها على النار.

.ـ سأشرب معك الشاي.

كان الرجل قد جلس على الأريكة المقابلة وكانت قواه قد وهنت تماماً.

.ـ أمي تقول بأني رجل خرف. وإنك غير موجودة في البيت.. لقد كنت أنتظرك كل ليلة!

.ـ ها هو الشاي قد أعد.

صبت الشاي في الأقداح.

كم عمرك؟ سألت الأفعى.

فارق كبير.. كنت قد هيأت لك هدايا.. كل مرة أذهب إلى السوق أتذكرك.. أدوات زينة وفساتين.. أخشى ألاّ تناسبك.

الحجم؟

سأقول شيئاً.. واتمنى أن لا تغضبي.

لا لن أغضب!

كنت أتخيلك بشكل آخر.. طويلة وبيضاء.. عمرك أكبر!

رفعت الأفعى الشاي وقربته من يديه. راحت تشرب بهدوء وهي واجمة تحدق في عينيه.

ـ أهذه مواصفات الجمال في نظرك؟.. أعتقد الآن انك تراني قبيحة!

كلا.. شيء آخر.. رجل عجوز وقنوع، ماذا تنتظرين؟.. مخيلة ضعيفة.

صمتت الفتاة وانسحب الرجل الكهل بنظراته إلى الأرض.

أتعتقد أن بالإمكان أن يكون بيننا شيء مشترك؟

لم يرفع الرجل وجهه ولم يجب.

ـ حسناً سأغادر الآن.. وداعاً.

تطلع حوله فوجد الظلام واللون الأسود يلف كل شيء يقع في الغرفة، وأمه العجوز المريضة تتلقف أنفاسها بصعوبة.

قال للأفعى:

وداعاً

ثم خاطب أمه:

أأنت نائمة؟

نعم.

لقد شربت من الماء وأكلت من الخبز والملح.

أنت تحلم.. نم الآن.

كيف يمكنها أن تصدقه. منذ لحظة فقط كانت معه. وكان يحس بوجودها وبأنفاسها.. دفع جسمه الثقيل المنهك في فراشه. ولم تمض لحظات حتى كان هو وأمه قد غطا في نوم عميق.

بغداد 1978

البئر

خمس بحيرات في مشيغن تجري من حولها الأنهار. وليس هناك أيما حاجة لاستجلاب الماء من تحت الأرض. هذا ما دعا الجيران إلى التعجب وهم ينظرون من فوق الأسيجة والسطوح إلى العجوز الذي أخذ يحفر حفرة عميقة تحت الأرض. أقنعهم بأن حفر بئر عميقة في الفناء الخلفي للدار أحسن بكثير من حياة التقاعد والكسل التي يعيشها الجميع.

قص عليهم رؤياه؛ فصدقه البعض.. رأى شهابا من معدن الذهب يطأ الأرض قبل آلاف السنين ويسقط في نفس المكان الذي يحفره الآن خلف داره.. العثور عليه سيحقق حلمه بالثراء وسيغدق بالمال على الجميع.

تطايرت من المسحاة شرارات ذهبية. ارتعش جسمه وكل خلية في جسم كل من كان ينظر الى بئره من عل.

أزاح آخر طبقة من التراب عن غطاء الصندوق الأسود.

بدل الشهاب الذهبي الذي كان يتوقعه الجميع عثر على حفنة من عظام..

عرف بكل حواسه أنه عثر أخيراً على ما كان يبحث عنه مدفوناً عميقاً تحت تربة ذاكرته.

2007

تعريف

فؤاد ميرزا

fuadmirzairaq@yahoo.com

* قاص وفنان تشكيلي
* مـن رواد كتابـة (القصـة القصيـرة جـداً) فـي العـراق، فـي بداية سبعينات القرن الماضي.
* نشـرأعماله القصصيـة فـي كثير من المجـلات العراقية والعربية، منهـا: الطليعـة الأدبيـة، الف بـاء، الآداب، الكرمـل، الثقافة العربية ومشارف.......
* يعيش حاليا في الولايات المتحدة..



فؤاد ميرزا

أتابع بدموع وابتسام قصصه. كانت أسماك واقعيته السحرية التي طارت.. قد كتبت قبل أن يتعرف (فؤاد ميرزا) على واقعية أميركا اللاتينية السحرية وبشوط طويل!!.. هي واحد من الإنجازات الراسخة التي تستحق التقدير في مسيرة القصة القصيرة والقصيرة جدا عراقيا.

السارد في قصص (فؤاد ميرزا) يطمح لتوليد الصور الدرامية بخيال عال، وهو الذي كتب قصصا قصيرة جدا بنيتها مستمدة من التخيل (قصة غيمة ويوم طارت الأسماك) وهذا يفسر تمرد السارد عدة مرات على أرضية القصة الواقعية بمظلة ساعدته سابقا في الكتابة بتقنية التحليق والـ... التخيلية، وهو مقنع جدا، لأنه يربط في رحلته بالـ... التقاليد، الموروث الخرافي، الخيال الشعبي، خيال الـ... الريفي، الميثولوجيا الآنية التي تبتكرها لنفسها ... القصة وتبرر لنفسها تمردها على حصارها ومحاولاتها ... لفك الحصار الواقعي حولها في مجتمع القرية و... بلا ريب حصارا آخر ساعد القاص كثيرا في شم الـ... ولتحرره القصص من حالات حصاره وتفعل فعل ... شخصيا معاناته عقود من جدل وشبهات واضطها...

[illegible]

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الانترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم

ISBN 978-614-01-0490-7

تصميم الغلاف: [illegible]